الصليبيون وإتلاف الكتب وتدمير المكتبات في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١٠٩٨-١١٩١م/ ٤٩١-٥٨٨هـ

إعداد

د/ياسر كامل محمود أحمد

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب – جامعة الوادي الجديد

يتناول هذا البحث بالدراسة موضوعًا على جانب كبير من الأهمية ألا وهو دور الصليبيين في إتلاف الكتب وتدمير المكتبات في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية خلال الفترة من ١٠٩٨ وحتى سنة ١١٩١م، ونقصد هنا التدمير بوسائله المختلفة كالإحراق، والإغراق، والنهب على يد رجال السلطة إبان الحروب والقلاقل. ولا يتناول البحث الإتلاف بسبب الكوارث الطبيعية كالزلازل الأرضية، والسوس، والرطوبة، وغيرها من الآفات الناجمة عن عوامل طبيعية، إذ أن الهدف من البحث هو إبراز السبب القصدي وراء تدمير الكتب. والبحث عن الأسباب العقائدية، والمذهبية، والانتقامية، التي كانت وراء إبادة تلك المكتبات.

أما عن اختيار فترة الحروب الصليبية بالدراسة، وخاصة المائة سنة الأولى منها، فإنه لا يخف على المتخصصين في هذا الشأن أن الحروب الصليبية التي شنها الغرب الأوربي على الشرق الإسلامي، امتدت نيرانها إلى كافة جوانب الحياة، فأثرت في جميع المظاهر السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. وقد عانت الكتب والمكتبات كغيرها من المظاهر الحضارية والثقافية من الخراب والتدمير ما فيه الكفاية خاصة خلال سنوات الحملة الصليبية الأولى والتي يمكن وصفها بمرحلة الخراب الشامل. ولسنا في حاجة إلى التأكيد على أنه في ظل مجتمع صليبي متبربر، وجاهل، وعدواني لا يرحم لا ينبغي أن نتوقع أن المكتبات في المدن المغزوة سوف تشهد أي شفقة أو رحمة. وسيتضح ذلك جليًا عند استعراضنا لمصير مكتبات معرة النعمان، وكفر طاب، والقدس، ومكتبة دير مار برصوم وغيرها من المكتبات التي كانت تحوي مئات الآلاف من الكتب بل وقيل الملايين من الكتب في شتى العلوم ثم استحالت أثرًا بعد عين.

والواقع أن الباحث المتصدي لموضوع إتلاف الكتب وتدمير المكتبات خلال المرحلة الزمنية المذكورة يعاني من مشكلة قلة إن لم يكن ندرة في الإشارات المصدرية؛ فالمؤرخون المسلمون المعاصرون لتلك المرحلة وكذلك المتأخرون منهم، لم يتعرّضوا لذكر عملية إتلاف الكتب وتدمير المكتبات، إلا في سياق سردهم للأحداث التاريخية، فهم يذكرون ذلك عرضًا بصورة غير مباشرة. حيث كان جلّ اهتمام هؤلاء المؤرخين هو التصدي لقضية الجهاد الإسلامي في مواجهة الصليبيين على حد قول أحد المؤرخين المحدثين(1).

أما المصادر الغربية سواء المعاصرة أو المُحدثة، فهي تعاني من نفس الأمر بصورة أكثر تزايدًا، فلم تتحدث تلك المصادر عن تدمير الصليبيين للمكتبات في الشرق الإسلامي ربما رغبة في اخفاء هذا العمل اللاحضاري، بل إن بعضًا من كُتّابهم المحدثين حاولوا التشكيك بحادثة إحراق هذه المكتبات،

تمامًا كما شككوا في حادثة إحراق مكتبة الإسكندرية القديمة، والتي نسبوا إحراقها باطلاً إلى عمرو بن العاص، وأن ذلك تم بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب(2).

والجدير بالذكر؛ أن موضوع تدمير المكتبات لم يحظ باهتمام كبير من جانب الباحثين المُحدثين، ولم يتم تناوله إلا من خلال عرض سريع وموجز للغاية ضمن أحداث الحملات الصليبية على الرغم من أهميته في الكشف عن حقيقة الغازي الصليبي، وهمجيته، وعدائه لكل ما يمت للعلم والحضارة بِصِلة.

وعلى الرغم من قلة الكتابات التاريخية عن هذا الموضوع، إلا أن هناك بعض الدراسات التي قام بها باحثون شرقيون وغربيون ومن أمثلتها دراسة محمد كرد علي(3) المعروفة "بخطط الشام"، والتي تحدث فيها عن المكتبات في بلاد الشام بصفة عامة عبر تاريخها الإسلامي الوسيط والحديث. هناك أيضًا دراسة متميزة وجادة للدكتور عمر عبدالسلام تدمري(4) عن مكتبة بني عمار في طرابلس الشام المُسماة دار العلم. وفيها تعرض إلى ما أصاب مكتبة طرابلس الشام من نكبة على يد الصليبيين إبان غزوهم لمدينة طرابلس سنة ١١٠٩م. كذلك دراسة د. عزالعرب أحمد سليمان –رحمه الله- بعنوان "الحرائق في مصر وبلاد الشام (١١٦٩-١١٨٧م)، وقد ركزت الدراسة على حرق القلاع والمدن إبان الحروب، ولم تتعرض الدراسة إلى حرق الكتب والمكتبات لا من قريب ولا من بعيد.

هذا عن الدراسات العربية، أما الدراسات الغربية فنذكر منها على سبيل المثال دراسة لوسيان بلاسترون Lucien X. Polastron عن حرق الكتب وتدمير المكتبات عبر التاريخ(5)، والتي لم تسلط الضوء إلا على قضية حرق الصليبيين لمكتبة طرابلس الشام فقط. ولا شك أن هذه الدراسات كان لها فضل الريادة في هذا المجال، كما أنها أنارت الطريق أمام الباحث للكتابة في هذا الموضوع المهم.

هذا وقد قسّم الباحث الموضوع إلى عدة مباحث تناول فيها: دور الصليبيين في تدمير مكتبة معرة النعمان سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ، ثم دورهم في إفناء مكتبة كفر طاب، وكذلك إبادة الصليبيين لمدينة القدس بما فيها مكتباتها. ثم نهب جوسلين كونت الرها لمكتبة دير مار برصوم. ثم نهب الصليبيين لمكتبة أسامة بن منقذ وبعض المكتبات الخاصة. وأود الإشارة هنا إلى أن تدمير الصليبيين لمكتبة طرابلس الشام لن يدخل ضمن إطار الدراسة، فقد تناولها الدكتور عمر تدمري في بحث مستقل تحت عنوان: " مكتبة بني عمار في طرابلس الشام المُسماة دار العلم. حتى لا يكون الحديث مكررًا ودون إضافة الجديد.

دور الصليبيين في تدمير مكتبة معرة النعمان سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ

الوقع أن مدينة معرة النعمان(6) وخزانتها (مكتبتها)(7) ،كانت أولى ضحايا الحملة الصليبية الأولى بسبب موقعها الجغرافي الواصل إلى مدينة بيت المقدس. فالمدينة تقع حسب وصف الرحالة والجغرافيين

في شمال سورية على بعد حوالي خمسين ميلًا شرق أنطاكية، وهي من أعمال مدينة حِمْص على الطريق البري الذي يربط بين مدينتيّ دمشق وحلب(8)، وكانت مدينة عامرة بالفواكه والثمار، وتكثر فيها العيون والآبار(9)، وثرية ذات تعداد سكاني ضخم، حسب وصف المؤرخ الصليبي رايموندأجيل(10)، أما أهلها فكانوا "شديدي الدّل والتفاخر بثرائهم الفاحش" على حد قول مؤرخ المملكة وليم الصوري(11).

إن مدينة ثرية كالمعرة لم تعدم وجود مكتبة ضخمة تحدث عنها محمد كرد علي فذكر أن أبا العلاء المعري(12) المنسوب إلى مدينة المعرة، زار تلك المكتبة، وراح يُمجّد غناءها بالكتب، وعظمة كتبها الموقوفة، وأنه انتفع بكتبها(13)، وإذا علمنا أن أبا العلاء المعري توفى سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م) أمكننا القول إنه زار مكتبة معرة النعمان قبل الغزو الصليبي للمدينة بحوالي أربعين عامًا على الأرجح. ويُرجِح محمد كرد علي(14) أن مكتبة معرة النعمان سبقت في النشأة مكتبة بني عمار بمدينة طرابلس(15) بمدة، ووفقًا لما أورده المؤرخون عن ثراء مدينة المعرة، فلابد أن مكتبتها أيضًا كانت ثرية بشتى صنوف العلم، وأنها اكتسبت شهرة مرموقة بفضل احتوائها على الكتب العلمية والمؤلفات الدينية.

وليس بمستغرب أن تكثر الكتب والمكتبات في مدينة المعرة في ذلك العصر، خاصة وأنها اشتهرت بكثرة علمائها وكثرة الدراسين بها، فمنها " خرج جماعة من العلماء في كل فن" حسب رواية السّمعاني صاحب الأنساب الذي ينقل عنه ابن العديم (16)، كذلك يصف ابن العديم أهلها بالذكاء المُفرط (17)، ويضيف أن مدينة المعرة ظلت قِبلة العلماء والدارسين حتى هاجمها (الإفرنج) الصليبيون فتشتت أهلها في البلاد (18). كذلك ينقل ابن العديم(19) أبياتًا من الشعر للوزير أبي القاسم المغربي(20) المتوفى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، تؤكد على اهتمام أهل المعرة بالعلم والآداب:

ما على سَاكن المَعَرّة لو أن .. ديارًا أنْبَتْ بهم أو طلولا
يَسْكُنون العُلى معاقل شُما .. ويَرَون الآداب ظلا ظَليلا
مَنْزل شاقني أنيس وما كان .. رُسومًا نواحلا وطلُولا
وإذا ما اعترى بها الأدب العُذْريُّ .. جاءوا عمارة وقبيلا
ليت لا يعنف السحاب عليها ... ليته جادها عليلا كليلا
وسلام على بنيها ولا زال .. نَعيم الحياة فيهم نَزيلا

ومن خلال الإشارات السابقة يتضح أن ثمة مكتبة كبرى كانت بمدينة المعرة. والراجح أنها لم تكن المكتبة الوحيدة بالمدينة، فلابد أن مكتبة أخرى كانت ملحقة بمسجد مدينة المعرة، وإن لم تصلنا أخبار موثقة عنها كتلك التي وصلتنا عن مكتبة (خزانة) جامع حلب، وحماة، وبعلبك، وغيرها من مكتبات المساجد التي كانت منتشرة بمدن الشام(21). فقد جرت عادة الفاتحين العرب على إقامة مسجد بكل

مدينة يفتتحونها، ولم يكن المسجد في الإسلام للعبادة فقط، وإنما كان للدراسة أيضًا، وبطبيعة الحال، لا توجد دراسة بدون مكتبة تحوي مختلف صنوف العلم الديني والدنيوي. الأمر الذي يمكن من خلاله القول بإن مسجد مدينة معرة النعمان كان به مكتبة ملحقة كوقف لفائدة المطالعين والمصلين، وإذا علمنا أن الدراسة على مختلف مراحلها وبأغلب فروعها كانت تتم في المسجد والجامع، أمكننا أن ندرك أهمية مكتبة معرة النعمان المُلحقة بالمسجد(22).

إن مدينة بحجم ثراء معرة النعمان كانت مطمع للصليبيين، فاخضاع مدينة غنية ببساتينها وآبارها سيوفر للجيوش الصليبية المؤن خلال رحلتهم(23) كما أنه سوف يُؤمّن الجناح الأيسر للصليبيين خلال زحفهم نحو بيت المقدس(24)، فضلًا عن ذلك سوف تُستخدم كمنطقة نفوذ للصليبيين مقابلة للنورمان في أنطاكية(25). علاوة على ذلك فقد كانت مدينة المعرة عقبة كؤود في طريق تقدم الصليبيين نحو بيت المقدس، فيذكر كلًا من رايموندأجيل ووليم الصوري أن أهلها فتكوا غير مرة بعدد كبير من الصليبيين، وأنهم عيّروا القادة الصليبيين وسبُّوهم ودنسوا الصلبان المثبتة على أسوار المدينة ليثيروا حفيظتهم(26)، ويؤكد ابن العديم على رواية رايموندأجيل ووليم الصوري بقوله إن أهل المعرة وجماعة من عسكر حلب انضمت إليهم هاجموا الفرنج بين منطقة تَلّ مَنَّس(27) والمعرة، وهزموهم وقتلوا منهم ما يزيد عن ألف رجل، وحملوا رؤوسهم إلى معرة النعمان(28). والراجح أن هذه الأسباب دفعت الصليبيين إلى الإسراع بحصار المعرة أملًا في الانتقام من أهلها من ناحية، وامتصاص خيراتها والاستيلاء على ثرواتها، وشق طريق لهم نحو القدس من ناحية أخرى.

بدأ الصليبيون حصار المدينة في السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٠٩٨م الموافق التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٩١هـ على أرجح الروايات، وبعد حصار استمر لعدة أسابيع نجح الصليبيون بقيادة أمير أنطاكية بوهيموند الأول Bohemond I (29) وريموند الرابع كونت تولوز (30) Raymond IV Count of Toulouse في الاستيلاء على المدينة وكان ذلك على الأرجح في الحادي عشر من ديسمبر سنة ١٠٩٨م الموافق التاسع من المحرم سنة ٤٩٢هـ(31) ونكث الصليبيون بأيمانهم وعهودهم التي كانوا قد قطعوها لأهل المدينة فذبحوا كل من وجدوه من المسلمين من الرجال والنساء وسلبوا كل ما وجدوه في المنازل والأقبية(32).

لقد اعتاد الصليبيون اضرام النار في الأماكن ذاتها من كل مدينة يغزونها، فكانت المساجد، والمدارس، والقلاع، وقصور الحكام، ودور كبار رجال الدولة، على رأس هذه الأماكن، والتي من المتصور أنها كانت تحوي مكتبات عامة أو خاصة ملحقة بها، كان يتردد عليها الناس. فيذكر ابن العديم(33) أن الصليبيين دخلوا مدينة المعرة "فلم يُبقوا ذخيرة بها إلا واستخرجوها"، وأنهم أضرموا النار بجميع

مساجدها. وتؤكد على ذلك رواية ألبرت أوف آخن(34) حيث يروي أن الجنود الصليبيين أحرقوا قلعة المدينة وبكل ما فيها. ويضيف ريموندأجيل(35) أن الأمل في الحصول على الثروات المدفونة تحت الأرض، دفع بالصليبيين إلى استخدام النار والأبخرة الكبريتية في إجبار المسلمين على التسليم لهم. أما وليم الصوري(36) فتحدث عن نار كثيفة أضرمها الصليبيون في المدينة كان من نتيجتها سحبًا كثيفة من الدخان حملت المسلمين الهاربين على الاستسلام. وهكذا تتفق المصادر الصليبية على أن الصليبيين أحرقوا المعرة أولًا عن آخر(37). أما ما كُتب له النجاة من بقاياها فقد صُودر حسب بعض الروايات الغربية المعاصرة (38).

والراجح أن المكتبة التي تغنى بمجدها أبو العلاء المعري قبل أربعين عامًا من الغزو الصليبي للمدينة ذهبت في هذا الحريق. كذلك فإن إشارات المؤرخين إلى حرق مساجد مدينة المعرة يوضح ضمنيًا أن المكتبات المُلحَقة بتلك المساجد أُبيدت على يد الجنود الصليبيين، إما رغبة في التشفي والانتقام من المدينة وأهلها، أو بسبب همجية الصليبيين، وبربريتهم، وكراهيتهم لكل ما له علاقة بالعلم.

وربما يدعم التصور السابق ما أورده ابن الأثير عند حديثه حول استرداد عماد الدين زنكي(١١٢٨م/٥٢٢هـ- ١١٤٦م/٥٤١هـ)(39) لمدينة معرة النعمان من أيدي الصليبيين، حوالي سنة ١١٣٥م/ ٥٢٩هـ، حيث ذكر أن "الفرنج لما ملكوا المعرة كانوا قد أخذوا أموال أهلها وممتلكاتهم، فلما فتحها عماد الدين زنكي، حضر من بقي من أهلها ومعهم أعقاب من هلك، وطلبوا أملاكهم، فسألهم زنكي عما يُثبت ملكيتهم لها، فأجابوه أن الفرنج أخذوا كل ما كانوا يملكونه، بما فيها دفاترهم وسجلاتهم وكتبهم، فطلب زنكي دفاتر حلب التي كانت لا تزال تحفظ الأملاك والخراج .. وبها أعاد زنكي لأهل المعرة أملاكهم"(40).

توقفنا رواية ابن الأثير على عدة دلائل أهمها: أن الصليبيين حينما غزوا مدينة المعرة نهبوا جميع ممتلكات المدينة بما فيها دفاتر أحوال المدينة وسجلاتها وكتبها. كذلك يُفهم من رواية ابن الأثير أيضًا أن الصليبيين ربما أحرقوا تلك السجلات والكتب، أو ربما صادروا ما طالته أيديهم منها بدليل أن عماد الدين زنكي لم يعثر على تلك السجلات بعد استعادته للمدينة من أيدي الصليبيين، وإلا ما كان ليضطر إلى أن يطلب نسخة أخرى من هذه السجلات والدفاتر كانت محفوظة في مدينة حلب ليثبت من خلالها ملكية أهل المعرة.

كذلك فإن المطالع لرحلة السائح الهروي(41) الذي زار المدينة ووصفها تقريبًا سنة ١١٧٣م/٥٧٠هـ – أي بعد استعادتها من أيدي الصليبيين بنحو أربعين عامًا - يلاحظ أنه لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى وجود مكتبة بمدينة المعرة. كذلك فإن الرحالة ابن جبير(42) الذي زار مدينة

المعرة سنة ١١٨٤م/٥٨٠هـ، لم يشر البتة إلى وجود مكتبة بها أو إلى أي آثار عنها. في حين تحدث عن خزانة كتب مدينة دمشق حينما زارها ووصفها بدقة(43). مما يدعم التصور بأن مكتبة المعرة أضحت بعد الغزو الصليبي أثرًا بعد عين.

الصليبيون ومصير مكتبة كفر طاب:

لم يكن إفناء وتدمير مكتبة معرة النعمان سوى مقدمة لما حلّ بالمكتبات الإسلامية الأخرى من نكبات جرّاء الأعمال التدميرية التي أتاها الصليبيون على كل مدينة احتلوها، فالراجح أن مكتبة كفر طاب (44) لقيت المصير نفسه الذي لقيته مكتبة معرة النعمان، وذلك عقب استيلاء الصليبيين على المدينة سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ(45) .

في واقع الأمر، فإنه ليس لدينا أية معلومات تفصيلية عن مكتبة كفر طاب، باستثناء إشارتين الأولى: جاءت من رواية ذكرها ابن العديم في كتابه بغية الطلب، وهي رواية سمعها من أحد المعاصرين لأبي العلاء المعري يدعى ابن منقذ أبو المتوج بن نصر بن منقذ(46) مفاداها أن أبا العلاء المعري كان يتردد وهو صبي صغير على خزانة كتب بأنطاكية، وكان خازنها يومئذ رجلًا علويًا، وأن هذا العلوي امتحن الصبي الصغير فإذا به يفيض علمًا ويتقد ذكاءً. ويعلق ابن العديم على الرواية مستنكرًا أن تكون خزانة الكتب تلك بأنطاكية، ويعلل ذلك بأن أنطاكية صارت في حوذة الروم (يقصد البيزنطيين) سنة ٩٦٩م/٣٥٨هـ بعد أن انتزعوها من أيدي المسلمين، وبقيت في أيدي الروم إلى أن فتحها السلطان السجلوقي سليمان بن قُتُلمش(47) سنة١٠٨٤ م/٤٧٧هـ، في حين أن مولد أبي العلاء كان سنة ٩٧٣م/ ٣٦٢هـ، أي بعد انتقال أنطاكية لحوذة الروم (البيزنطيين) بأربعة سنوات، ووفاته كانت سنة ١٠٥٧م/ ٤٤٩هـ، فكيف يُتصور أن تكون بأنطاكية خزانة كتب وخازن علوي وهي في أيدي الروم ؟!، ويرجح ابن العديم أن تكون هذه الواقعة تمت بكفر طاب أو بغيرها، خاصة وأن منقذ أبو المتوج الذي يروي عنه ابن العديم كان من المعاصرين لأبي العلاء، وكانت له كفر طاب (48). والباحث يتفق مع ما ذهب إليه المؤرخ ابن العديم، فلا يُعقل أن يكون خازن مكتبة أنطاكية إبان الحكم البيزنطي مسلمًا علويًا، فضلا عن استبعاد أن يكون أبو العلاء المعري الضرير قد تردد على أنطاكية وهي تحت الحكم البيزنطي. والراجح كما ذكر ابن العديم أن المكتبة التي تردد عليها أبو العلاء كانت بكفر طاب لا بأنطاكية. ومما يدعم تلك الفرضية تردد أبي العلاء على مدينة كفر طاب، ووصفه لها وصفًا دقيقًا ، ومن ذلك وصفه لشحة مياهها في لزومياته(49):

أرى كفر طاب أعجز الماء حفرها .. وبَالِسَ أغناها الفُرَات عن الحفر

كذلك مجرى الرزق، وادٍ بلا ندى .. ووادٍ به فيض وآخر ذو جَفْر.

أمّا الإشارة الثانية، والتي تدعم فرضية وجود مكتبة كبرى بمدينة كفر طاب قبل الغزو الصليبي للمدينة فقد جاءتنا من محمد كرد علي ([50]) والذي ينقل عن مصدر لم يسميه. فقد أشار كرد إلى زيارة أبي العلاء المعري لمكتبة كفر طاب وإفادته منها. ولا شك أن زيارة أبي العلاء المعري لمكتبة كفر طاب يؤكد على أنها كانت تحوي عدد كبير من الكتب، ولعل في ذلك دلالة بالغة على اهتمام أهلها بالمعرفة، ونشرها، وتيسير سبل الاطلاع عليها.

وربما ينهض دليلًا على ذلك ما أورده ابن العديم عن مدينة كفر طاب، حيث ذكر أنه كان يسكنها جماعة من الأعيان الموسرين، وأنه كان يقطنها جماعة من العلماء، والأدباء والشعراء([51])، وكثير من أهل العلم والدين، حتى تعرضت للغزو الصليبي سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ ففر أهلها إلى بلدان أكثر أمنًا([52]).

أما عن مصير تلك المكتبة، فالراجح أنها أُبيدت سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، جرّاء حملة الإبادة التي جرت للمدينة على يد الجنود الصليبيين، والتي سطرت أحداثها المصادر شرقية وغربية([53])، وينطبق على ذلك المثل السائر: كتب أعدائي هي أعدائي. ومما يدفع إلى الأخذ بهذه الفرضية أن المؤرخين والرحالة المسلمين الذين أرّخوا لمدينة كفر طاب بعد الغزو الصليبي لها، لم يشيروا إلى وجود هذه المكتبة. فلا أثر لها في ما كتبه ابن الأثير، وابن شداد، وأبو شامة، ولا أثر لها أيضًا في كتابات ابن جبير، والسائح الهروي ولا غيرهما من الرحالة اللذين زاروا المدينة ووصفوها وصفًا دقيقًا بحيث ما كان لهم أن يغفلوا عن وصف تلك المكتبة.

الصليبيون وحرق وتدمير مكتبات بيت المقدس:

تجدر الإشارة إلى أن مدينة بيت المقدس شهدت قبيل الغزو الصليبي العديد من المكتبات، والتي تنوعت ما بين المكتبات العامة والخاصة، ومكتبات المساجد، ومكتبات المدارس، وحتى المكتبات التي يمكن أن وصفها مجازًا "بالمكتبات الأكاديمية". ولعل أهم تلك المكتبات مكتبة أو خزانة المسجد الأقصى. فقد كان المسجد الأقصى كغيره من المساجد الكبيرة في الأقطار الإسلامية مركزا للحياة الفكرية، ومدرسة لتدريس العلوم، خاصة العلوم الإسلامية. وبطبيعة الحال لا يمكن أن تنتعش الحياة الفكرية التي كان مركزها المسجد، إلا بوجود المكتبات التي كانت تضم بوجه خاص المخطوطات والكتب الأمهات([54]).

وقد اكتسبت هذه المكتبة شهرة مرموقة بفضل احتوائها على المؤلفات الدينية، فقد تضمنت خزائن الأقصى كتبًا عديدة أقدمها بالطبع النسخ العديدة من القرآن الكريم التي كان الحكام والمتدينون يوقفونها في الأقصى تقربًا لله. فقد ذكر ابن الفقيه في كتابه "كتاب البلدان" الذي ألفه عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م، أي قبل قدوم الصليبيين بقرنين من الزمان تقريبًا، في سياق حديثه عن المسجد

الأقصى أنه كان في المسجد "ستة عشر تابوتًا للمصاحف المسبلة، وفيه مصاحف لا يستقلها الرجل"(55). وذكر ابن عبد ربه المتوفي سنة ٣٢٨م/٩٤٠م في العقد الفريد، وفيه (أي في المسجد الأقصى) من المصاحف الجامعة سبعون مصحفًا، وفيه من الكبار التي في الورقة منها جلد، ستة مصاحف على كراسي تجعل فيها"(56)، كما ضمت الخزانة العديد من الكتب ومنها الجامع المستقصي لابن عساكر، وكانت من جملة الدروس التي أُمليت في المسجد الأقصى ثم حُفظت هذه الكتب في خزائن الأقصى التي كان ينهل منها العلماء(57).

وقد أشار المنهاجي السيوطي إلى بعض ما كان في خزائن المسجد الأقصى من كتب الفضائل(58). ويؤكد أحد الباحثين أنه كان ببيت المقدس خزائن كتب موقوفة عليه من بينها وقف الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة ١٠٩٦م/٤٩٠هـ(59) أي أن هذا الوقف أضيف إلى خزائن المسجد الأقصى قبيل الغزو الصليبي للمدينة بعدة سنوات(60). والثابت أنه لم يكن الوقف الوحيد.

كما حظي المسجد الأقصى بحلقات العلوم المختلفة حتى بلغ عددها ثمانية وعشرين حلقة، وبلغ عدد المعلمين ثلاثمائة وستين مدرسًا، وكان التركيز بالحلقات يدور على علوم الحديث، والفقه، والفتاوي، ومسائل الخلاف، وغيرها من العلوم(61).

كذلك يؤكد أحد الباحثين وجود خزائن للكتب والمخطوطات في مسجد قبة الصخرة، الأمر الذي يُفهم منه أن خزائن القرآن الكريم والكتب والمخطوطات بصفة عامة كانت موزعة بين مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، فضلاً عن وجود خزائن كتب أخرى في أماكن متفرقة من حرم الأقصى، وخاصة في المدراس الواقعة في ساحة الحرم وحولها والتي كانت تُشكل –بطبيعة الحال- مع المسجد الأقصى وحدة واحدة(62).

بجانب مكتبات المساجد والمدارس وجدت ببيت المقدس مكتبات يمكن وصفها بالمكتبات الأكاديمية إذا جاز التعبير. لعل أشهرها وأهمها دار العلم بالقدس والتي أمر ببنائها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (١٠٩٣-١٠٢٠م/٣٨٦-٤١١هـ)(63) ،وهي تعد فرع من دار العلم الفاطمي بالقاهرة (64)، ذلك المعهد الذي كان بمثابة الصرح العلمي الكبير في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين(65) وقد أشار القلقشندي(66) إلى دار العلم المقدسية فذكر أن الفاطميين قاموا بعد سيطرتهم على بيت المقدس بتحويل كنيسة الروم المعروفة بكنيسة القمامة والتي كانت تضم قبر حنة أم مريم بنت عمران عليها السلام، إلى دار علم، إمتدادًا لدار العلم بالقاهرة، وقد ظلت دار العلم بالقدس تؤدي رسالتها التنويرية حتى دخل الصليبيون المدينة سنة١٠٩٩م/٤٩٢هـ فقتلوا كثيرًا من العلماء

والأطباء الذين كانوا يعيشون كباحثين في المؤسسة، وأعادوا بناء كنيسة حنة القديمة كاملة بعد هدم دار العلم الذي لم نسمع عنه بعد ذلك(67) .

وإذا ألقينا نظرة على المعاهد العلمية التي أسسها الفاطميون في القدس قبيل مجيء الصليبيين، سنجد "البيمارستان الفاطمي" وهو يُعد أول معهد طبي أُسس في القدس، ولم تكن وظيفة البيمارستان الفاطمي وظيفة علاجية فقط بل كان يُخرّج الأطباء والممرضين (68)، مما يجعلنا نرجح إمكانية وجود نوع ما من المؤسسات لدراسة العلوم الطبية. وربما كانت مدرسة طبية صغيرة، ملحقة بالمستشفى نفسها، وملحق بهما مكتبة عامرة بكتب الطب وغيرها.

إضافة إلى ذلك كانت بيوت العلماء بمثابة مدارس يأتي إليها طلاب العلم كبيت أبي الفتح نصر بن القاسم الذي كان يأتيه الناس في بيته لينهلوا من علمه(69).

ومما يدعو أيضًا إلى تصور وجود مكتبات زاهرة في بيت المقدس قبيل الغزر الصليبي؛ أن المدينة كانت مستقرًا ومقامًا للعديد من العلماء والزهاد الفقهاء والعُبّاد اللذين شاركوا في النهضة العلمية، وأثروا مكتبات القدس بمؤلفات جديدة فزاد عدد كتبها، ومن أبرز علماء المسجد الأقصى، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، المُقريء أبو العباس أحمد بن زيدان من مدينة بغداد، الذي قَدِمَ بيت المقدس، وظل يُلقّن المقدسيين القرآن الكريم حتى وفاته سنة ١٠٢٣م/ ٤١٤هـ.

ومن العلماء أيضًا الذين أثروا مكتبات القدس بمؤلفاتهم الطرطوشي الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الأندلسي المتوفى سنة ١٠٥٩م/٤٥١هـ، والذي زار بيت المقدس وأقام ودرّس بها(70). ومنهم أيضًا الإمام أبو حامد الغزّالي، الذي خرج من بغداد متوجهًا إلى بيت المقدس سنة ١٠٩٥م/٤٨٨هـ، أي قبل الغزو الصليبي للمدينة بأربع سنوات، حيث عقد حلقات تعليمية في المدرسة النصرية بالقدس حضرها الكثير من المقدسيين والزوّار(71). وخلال وجوده بالقدس ألّف كتابه إحياء علوم الدين، وبدخوله المدرسة النصرية تغير اسمها وعُرف بين أهل القدس بالغزّالية نسبة إليه(72). وقد أعجب المقدسيون بدروس الإمام الحُجة وطلبوا منه أن يُصنف لهم شرحًا مبسطًا للعقيدة الإسلامية ، فكان كتابه "الرسالة القدسية في قواعد العقائد" (73).

ومن علماء الحديث المقدسيين الذين ذاع صيتهم في الحديث الشيخ نصر بن إبراهيم بن نصر بن داود أبو الفتح المقدسي، وأصله من نابلس، سكن بيت المقدس ودرّس بها، وكان يأتيه الناس في بيته لينهلوا من علمه(74). وظل عاكفًا على العلم إلى أن مات سنة ١٠٩٧م/٤٩٠هـ، ومن أهم كتبه في الحديث "التهذيب"، وكتاب "التقريب"، وكتاب "الكافي" وغيرها من الكتب(75).

ومن العلماء الذين وردوا القدس أيضًا قبيل الغزو الصليبي للمدينة الشيخ الرميلي(76)، المنسوب إلى قرية الرميلة إحدى قرى فلسطين، وهو أبو القاسم مكي بن عبد السلام المقدسي الرميلي، كان حافظًا مكثرًا، رحل إلى مصر، والشام، والعراق، والبصرة، ثم رجع إلى بيت المقدس وأقام بها، وقد صنّف كتابًا في تاريخ بيت المقدس، وظل يُدرّس الفقه على مذهب الشافعي إلى أن وقع أسيرًا في أيدي الصليبيين إبان استيلائهم على مدينة بيت المقدس سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، ولما علموا أنه من علماء المسلمين الكبار طلبوا ألف دينار شريطة إطلاق سراحه، فلما لم يستفكه أحد، رموه بالحجارة حتى لقي حتفه شهيدًا على يد الجنود الصليبيين في السنة نفسها(77).

ومن العلماء المقدسيين الذين قتلهم الصليبيون إبان غزو المدينة سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ الفقيه أبو القاسم الرازي، تفقه في بداية حياته على يد علماء العراق، ثم انتقل إلى بيت المقدس(78)، وبقي فيها حتى استشهد على يد القوات الصليبية التي احتلت المدينة سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ(79).

من خلال العرض الموجز السابق يتضح لنا كيف كانت مدينة بيت المقدس قبل الغزو الصليبي قِبلة العلماء ومحط رحال أهل العلم، وكيف توافد عليها العلماء من شتى الأقطار العربية ليعملوا بالتدريس والتأليف، ويغنوا بذلك مكتبة القدس بشتى أنواع المعارف والعلوم. كذلك لا نغفل أن كثرة المدارس في بيت المقدس ترتب عليه كثرة المكتبات وخزائن الكتب؛ فالثابت أن تكون كل مدرسة قد اختصت بمكتبة، وأن هذه المكتبات تفاوتت في كبرها وصغرها تبعًا لمكانة المدرسة التابعة لها(80).

والسؤال المطروح الآن هو: كم عدد الكتب التي كانت تحويها مكتبات القدس عندما هاجمها الصليبيون سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ ؟. الواقع أنه ليس لدينا احصائيات دقيقة تُوقفنا على جملة ما حوته مكتبات القدس من صنوف الكتب. ولكن لا شك في أن عددها كان بالآلاف. فبناءً على المعطيات السابقة يمكن التأكيد على حقيقة وهي أن مدينة بيت المقدس قبيل الغزو الصليبي كانت عامرة بمكتبات شتى تنوعت ما بين مكتبات عامة، ومكتبات خاصة، ومكتبات للمساجد، ومكتبات للمدارس، ومكتبات أكاديمية. ولكن السؤال الأهم هنا: ماذا كان مصير هذه المكتبات بعد الغزو الصليبي للمدينة؟

إن الإجابة عن هذا السؤال مرتبط بإلقاء الضوء على أحداث الغزو الصليبي لمدينة بيت المقدس.

الجدير بالذكر أن الهدف الظاهري من غزو الصليبيين لبلاد الشام كان هو الاستيلاء على مدينة بيت المقدس، والتي وصل الجيش الصليبي خارج أسواراها في السادس من يونيه ١٠٩٩م/١٤ رجب ٤٩٢هـ. تحت قيادة جودفري البولوني Godfrey of Bouillon (١٠٩٩-١١٠٠م) (81) وعدد من القادة الصليبيين. وبعد حصار قارب الأربعين يومًا سقطت المدينة في أيديهم في الخامس عشر

من يوليو ١٠٩٩م/الثالث والعشرين من شعبان ٤٩٢هـ. ولقيت المدينة مصيرًا مظلمًا إذ إرتكب الصليبيون بها مذبحة مروعة لم يسلم منها الأهالي. وقد أفاضت المصادر المعاصرة في وصفها([82]).

فالمطالع للمصادر التي أرخت للغزو الصليبي لمدينة بيت المقدس سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، سواء كانت مصادر غربية أم شرقية يلاحظ أن المدينة تعرضت لحملة إبادة شملت البشر والحجر. فتروي المصادر الإسلامية أن الصليبيين لما ملكوا المدينة هدموا المشاهد وقبر الخليل عليه السلام، وقتلوا من العُباد والصلحاء والعلماء والقرّاء والعامة وغيرهم ما لا يحصيه العد، وأنهم أحرقوا ما كان ببيت المقدس من المصاحف والكتب، وأخذوا ما كان بالصخرة من قناديل الذهب والفضة والآلات، وغيرها ([83]).

وقد ألمحت المصادر الأدبية عن هذه النكبة، حيث سطرها الشعراء في أبيات لهم توضح جانبا مما حل بالمدينة من دمار للكتب والمكتبات، ومن ذلك قول أحد الشعراء المعاصرين :

وكم من مسجد جعلوه ديرا.. على محرابه نُصِب الصليب

دمُ الخنزير فيه لهم خَلُوقٌ .. وتحريقُ المصاحف فيه طِيب

أمورٌ لو تأملهن طفلٌ .. لطفّل في عوارضه المشيب ([84]).

لم تختلف المصادر الصليبية عن المصادر الإسلامية في وصفها لحملة الإبادة التي تعرضت لها مدينة بيت المقدس على أيدي الجنود الصليبيين. فالمؤرخ المجهول صاحب كتاب الجيستا والذي كان شاهد عيان على ما جرى في القدس تحدث عن مذبحة رهيبة تعرض لها المسلمون حتى أن الجنود الصليبيين خاضوا في دماء المذبوحين والقتلى حتى كعوبهم([85]). كما تحدث عن نار إغريقية أشعلها الصليبيون في المدينة المقدسة حتى أتت على الأخضر واليابس([86]). أما فوشيه دي شارتر والذي كان أيضًا ضمن شهود العيان على تلك المذبحة فقد راح يتفاخر بأنهم لم يبقوا على حياة أحد من مسلمي المدينة ولم ينج حتى النساء والأطفال([87]) . كما تحدث عن نار كثيفة أشعلها الصليبيون في كل بقاع المدينة([88])، كذلك جاءت رواية ألبرت أوف آخن لتؤكد على المجزرة التي ارتكبها الصليبيون في حق المسلمين، وأضاف أن الصليبيين نهبوا كل ما وجدوه من كنوز وثروات، وقد حمل تانكريد وحده من الكنوز ما إن تنوء بحمله ستة جِمال أو بغال، قسمها بينه وبين الدوق جودفري دي بوايون([89]). أما مؤرخ المملكة وليم الصوري فقد رسم بقلمه صورة مخيفة لما حدث إذ أورد يقول : "كان من المستحيل أن يطالع المرء كثرة القتلى دون أن يستولي عليه الفزع، فقد كانت الأشلاء البشرية في كل ناحية، وغطت الأرض دماء المذبوحين، ولم تكن مطالعة الجثث- وقد فارقتها رءوسها- ورؤية الأعضاء المبتورة المبعثرة في جميع الأرجاء هي وحدها التي أثارت الرعب في نفوس جميع من شاهدوها، بل كان هناك ما هو أبعث على

الفزع ألا وهو منظر المنتصرين أنفسهم وقد تخضبوا بالدماء فغطتهم من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم، فكان منظرا مروعا بث الرعب في قلوب كل من قابلوهم.." (90).

لقد أكدت مذبحة القدس الشنيعة على عدد من الحقائق التي صارت بمثابة قواعد أساسية كشفت عن الوجه الحقيقي للغزو الصليبي للمنطقة. فيلاحظ؛ أن الصليبيين كشفوا عن الوجه القبيح المتعصب للحركة الصليبية، والطابع الدموي الذي سيطر على عقولهم وجعلهم لا يرون إلا الجثث والدماء والجماجم (91)، كما كشف عن بربريتهم وعدائهم لكل ما يمت للعلم بصلة. فالمؤكد أن حريق الصليبيين لمدينة بيت المقدس أتى أيضًا على مكتبات القدس، ولعل خير دليل على ذلك هو أننا لم نعد نطالع أخبار تلك المكتبات في بطون المصادر المعاصرة بعد الغزو الصليبي للمدينة، الأمر الذي يؤكد أن تلك المكتبات راحت كلها ضحية الاغتيال الصليبي للمدينة.

ولا شك أن احراق الصليبيين لمكتبات القدس والمسجد الأقصى أخمد النهضة العلمية والفكرية التي كانت تشع منها؛ حيث حوّل الصليبيون المسجد الأقصى إلى كنيسة، وسكن لفرسان هيئة الداوية Templars (92)، ومستودعات لذخيرتهم، واسطبلات لخيولهم، فأطفأوا بجهلهم شعلة الحركة الفكرية التي كانت قائمة فيه(93).

وهكذا قضى الصليبيون على كل المكتبات التي كانت بالقدس، ولم ينج من تلك المذبحة المروعة التي تعرضت لها مدينة بيت المقدس حسب رواية المؤرخ هانز ماير إلا المكتبة اليهودية التي كانت تضم لفائف التوراة الثمانية، وثلاثمائة وثلاثون مخطوطًا، وقد تم بيعها إلى الجالية اليهودية في عسقلان بثمن باهظ(94).

الجدير بالإشارة، أن مدينة بيت المقدس ظلت بلا مكتبات إسلامية حتى استرد المسلمون المدينة سنة ١١٨٧م/٥٨٣هـ، فأعاد صلاح الدين الأيوبي المسجد الأقصى ومسجد الصخرة إلى ما كانا عليه قبل الغزو الصليبي، ورتب لهما الأئمة، وأوقف عليهما الأوقاف، وحمل إليهما المصاحف والربعات الشريفة. وبذلك أعاد صلاح الدين تعمير مكتبات هذين المسجدين، كما أعاد تعمير بقية مكتبات مدينة القدس (95).

جوسلين كونت الرها ونهب مكتبة دير مار برصوم:

لم تكن مكتبات المسلمين وحدها التي شهدت الإفناء والسلب على يد الصليبيين، بل تعرضت مكتبات المسيحيين أيضًا للمصير ذاته، مما ينهض دليلا على أن الغزو الصليبي لبلاد الشام استهدف العرب جميعا مسلمين كانوا أم مسيحيين دون تفرقة. حيث يروي كل من المؤرخ ميخائيل السرياني الكبير(96)، وابن العبري(97)، والمؤرخ الرهاوي المجهول(98) رواية تفيد بنهب الصليبيين لدير مار برصوم

واستيلاءهم على ما به من كتب. ولكن قبل مناقشة تلك الروايات كان لزامًا على الباحث أن يلقي الضوء على دير مار برصوم ومكتبته قبل أن تتعرض للنهب على يد الصليبيين.

الواقع أنه لا يُعرف بالتحديد تاريخ تأسيس دير مار برصوم بمدينة ملطية(99)، فالروايات التي وردت بشأن تأسيسه مختلفة ومتضاربة، ففي الوقت الذي يرى فيه صاحب كتاب اللؤلؤ المنثور(100) أن الدير تأسس أواسط القرن الخامس الميلادي، يُرجّح باحث آخر أنه تأسس أواخر القرن الثامن وتحديدًا سنة ٧٩٠م، ولعل الرأي الأخير هو الأرجح إذ ليس ثمة إشارة مصدرية تقول بوجود دير بهذا المسمى قبيل منتصف القرن الثامن الميلادي على الأقل.

وأيًا كان الأمر، فإنه بمجرد تأسيس الدير أصبح محط أنظار رهبان كُثر لجأوا إليه خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، ومع ازدياد اقبال الرهبان عليه، جُمِعَتْ إلي الدير خزانة كتب حَوّت مؤلفات ومخطوطات جليلة أخذت تتزايد بمرور السنوات، ومن ذلك ما حدث سنة ١٠٧٢م حيث قام البطريرك مار يوحنا العاشر بن شوشان (١٠٦٤-١٠٧٣م)(101) بنقل مخطوطات ثمينة من مكتبة كنيسة ملطية إلى خزانة دير مار برصوم (102)، ولعل أهم وأثمن مجموعة كتب نقلها كانت كتب "الفناقيث"(103) والتي كان قد خطها بريشته يوحنا بن شوشان نفسه، ثم أهداها لدير الغرباء في جبل الرها، ثم نقلت إلى دير مار برصوم(104).

وعندما أصبح دير مار برصوم كرسيًا للبطريركية سنة ١٠٩١م، أغناه البطاركة بالكنوز الفاخرة بشتى أنواعها، فأضاف إليه البطريرك أثناسيوس السادس (١٠٩٠-١١٢٩م)(105) سنة ١١٢٩م مؤلفات كثيرة وكان هذا البطريرك حسب وصف المطران أغناطيوس "جمّاعة لنفائس الكتب ينقل معه أحمالًا منها حيثما رحل"(106)، وينقل بولس بهنام عن المؤرخ الرهاوي أن هذا البطريرك رفع شأن البطريركية بنفائسه وذخائره النادرة وترك كتبًا متنوعة جليلة تتناول العهدين القديم والجديد، ومجموعات نفيسة من كتب الملافتة تركها كلها لمكتبة الدير بعد وفاته(107).

ومن المؤكد أن ميخائيل الكبير(108) الذي تولى رئاسة الدير والكرسي البطريركي، أسهم بدور كبير في ازدهار مكتبة الدير، حيث تشير المصادر إلى أنه أضاف لخزانة الدير مخطوطات نفيسة، كما ترك مخطوطات كتبها بنفسه أشهرها كتاب ميامر (قصائد) مار يعقوب السروجي(109)، وكتاب ميامر (قصائد) القديس أفرام السرياني(110)، وكتاب المواعظ السنوية، كما ترك من ريشته نسخة من الإنجيل المقدس وشّى حروفها بماء الذهب والفضة(111).

إلى جانب ذلك، كان بدير مار برصوم مجموعة نادرة من البراءات الملكية السامية التي نالها البطاركة ورؤساء الدير بمرور الأيام ، كما جُمِعَت إليها مئات الرسائل البطريركية، والمناشير الحبروية،

والرسائل الايمانية التي كان يصدرها أو يتلقاها البطاركة الأنطاكيون منذ تبوئهم رئاسة الدير، ولعل أشهرها جميعًا رسائل الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين(112) التي بعث بها إلى مار ميخائيل الكبير في سبيل سلام الكنيسة والمصالحة مع بيعة بيزنطية، ورسالة مار ميخائيل الايمانية والتي تُعد جوابًا وردًا على رسائل الإمبرطور البيزنطي، فضلًا عن مجموعة الرسائل العديدة الأخرى التي دبّجها مار ميخائيل الكبير في شرح المذهب الأرثوذكسي(113).

بالإضافة إلى كل ما سبق، فقد كان الدير يحوي أيضًا متروكات البطريرك أغناطيوس الثاني داود (٨٧٨-٨٨٣م)(114)، وعلى رأسها كتاب الشرطونيات (كتب رسامات الأساقفة) بخط مار ميخائيل الكبير، جمع فيه كل طقوس الرسامات الكنسية(115). كما حوى الدير صندوق مُذهب كان يحوي يمين القديس مار برصوم وكانت هذه اليمين حسب وصف أحد الباحثين تحفة روحية غالية احتفظ بها البطاركة ورؤساء الدير أكثر من الكنوز الأخرى نظرًا لأهميتها القدسية في نظرهم. كما كان الدير يحوي أيضًا ذخائر الرسول بولس، وكتب سريانية نادرة، ومصنفات تاريخية وأدبية رائعة وكتاب الرسامات الكهنوتية بخط البطريرك مار ميخائيل الكبير(116). وقد بُولغ بالقول إن مكتبة دير مار برصوم إبان العصر الصليبي كانت عامرة بشتى الكتب ولم يكن يعوذها غير كتاب واحد (117).

وليس بمستغرب أن تكثر الكتب والمكتبات في هذا الدير خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي، فقد اشتهرت مدينة ملطية خلال تلك الفترة، بعمل الرَقّ الذي يستعمل في نساخة الكتب(118). ولا شك أن كثرة الورق وانتشار استعماله وكثرة الوراقين في تلك المدينة، مهد السبيل لظهور المكتبات آنذاك. مما جعل دير مار برصوم يحوذ على مكتبة ضخمة وغنية بالكتب والمخطوطات. ولكن حظها العاثر شاء لها أن تقع في يد جوسلين الثاني كونت الرهاJoscelin II of Edessa (119).

تعود بداية نكبة مكتبة دير مار برصوم إلى سنة ١١٤٨م وبالتحديد في الثامن عشر من يونيه حينما اجتاح جوسلين الثاني كونت الرها وجنوده الدير. وقد وصلتنا تلك النكبة من خلال ثلاث روايات تحدثت عن نهب جوسلين لدير مار برصوم نبدأها بالرواية الأكثر ايجازًا وهي رواية المؤرخ الرهاوي المجهول(120) الذي اكتفى بالإشارة إلى ما تعرض له دير مار برصوم من النهب والسلب على يد الكونت الصليبي جوسلين دون أن يعطينا أية تفاصيل. أما الرواية الثانية والتي بها شيء من التفصيل فينقلها لنا ميخائيل السرياني، وفيها يكشف عن دخول جوسلين كونت الرها لدير مار برصوم في يوم ١٨ يونيه سنة ١٤٥٩ يونانية الموافق (١١٤٨م) حيث ألقى بالقبض على رهبان الدير، وأمر قساوسته من الإفرنج (الصليبيين) بمداهمة الدير، وإخراج كل ما فيه من أطباق فضية، وأواني، وكؤوس، وصلبان ومباخر، وقناديل، وأناجيل وكتب، ونقلها جميعًا إلى مقر حكمه (121).

أما المؤرخ ابن العبري فيعطينا راوية تتفق كثيرًا مع ما ذكره ميخائيل السرياني ولكنها أكثر تفصيلًا. فيذكر أنه في تلك السنة (١١٤٨م) استسلم جوسلين الإفرنجي صاحب الرها لنية خبيثة، فجمع قواته وتظاهر بأنه سوف يخترق منطقة الأتراك للسلب والنهب ثم يعود إلى حران. وبعد أن مكث ثلاثة أيام بالقرب من مدينة ملطية، أمر قوداه بالتوجه إلى دير مار برصوم للصلاة ثم العودة مرة أخرى لقتال الأتراك. وفي صباح يوم السبت الموافق ١٨ من حزيران (يونيه) سنة ١١٤٨م دخل بغتة دير مار برصوم، واستقبله رهبان الدير بالترحاب رافعين الصلبان والأناجيل ظنًا منهم أنه جاء ليصلي معهم، ولدى رؤيته الصليب، ترجل عن فرسه متظاهرًا بالوداعة. فلما دخل الدير كشف للقوات المرافقة له عن خيانته وشره وأمرهم بالقبض على الرهبان متهمًا الشيوخ منهم بخيانته، كما أرسل كهنة الإفرنج إلى الكنيسة فاستولوا على كل شي فيها، من مباخر، وقناديل، وأناجيل، وكتب، وذهب، وحملوا كل ما وجدوه، وفي اليوم التالي عاد جوسلين بجنوده وصعد إلى الدير وأرسل رجاله ثانية فاقتحموا غرف المستخدمين، وحمّلوا الجِمال والبغال بمقتنيات الدير، بما فيه الصندوق الذي يضم يمين القديس مار برصوم([122]).

ويمضي ابن العبري فيروي أن القديس مار برصوم ظهر في المنام لثلاثة رجال من جند جوسلين، وأخبرهم أن يبلغوا ملكهم جوسلين أن ما جرى لرهبان ديره جرى بسبب غضب القديس مار برصوم عليهم، ولذلك سلّمهم إليه لكي يعذبهم فيتوبون، ثم يعودون إلى الدير. ويستطرد ابن العبري فيروي أن جنود جوسلين حينما أخبروه بذلك، لم يستجب لهم، وفي الليلة التالية رأى بعض أقرباء جوسلين رؤيا أخرى مفادها أن سيفًا ناريًا أُستل من صندوق يمين القديس مار برصوم وأنهم سمعوا صوتًا يقول: " لك أقول يا جوسلين إن لم تتركني ورهباني فأني سأقضي عليك بهذا السيف"، فلما علم جوسلين بذلك، أصدر أمرًا بإطلاق سراح رهبان الدير مقابل دفع خمسة آلاف دينار، وأطلق شيوخهم فعادوا للدير في سبتمبر سنة ١١٥٠م ليجمعوا المبلغ الذي أقره جوسلين. ثم يمضي ابن العبري فيتحدث عن الكمين الذي وقع فيه جوسلين وجنوده بمنطقة تل باشر، واحاطة الأتراك بهم، فنذر جوسلين نذرًا بأنه سيعيد الصندوق الذي يضم يمين القديس مار برصوم إلى الدير وكل ما اغتصبه منه إذا ما نجا من كمين الجيش التركي، فلما رحل الأترك عنه، أرسل جوسلين إلى الدير طالبًا السماح، وأعاد يمين القديس مار برصوم وما نهبه من كتب ومقتنيات إلى الدير في أول كانون الأول (ديسمبر) سنة ١١٥٠م([123]).

من خلال تلك الروايات الثلاث السابقة نستخلص الآتي:

أولًا: أجمعت الروايات الثلاثة على نهب جوسلين كونت الرها لدير مار برصوم بعد مداهمته في الثامن عشر من يونيه سنة ١١٤٨م. وبذلك كشفت الروايات الثلاث بربرية الصليبيين التي وصلت

أقصاها حين داهموا دور العبادة المسيحية، وأهانوا الرهبان المسيحيين، ونهبوا ممتلكاتهم وذخائرهم، فأثبتوا بما لا يدع مجالًا لشك أن حركتهم حركة استعمارية اتخذت من الدين ستارًا لإخفاء مطامعهم.

ثانيًا: اتفقت الروايتان الثانية والثالثة على سلب جوسلين لمقتنيات الدير بما فيها الكتب والمخطوطات، وعلى رأسها بطبيعة الحال يمين القديس مار برصوم.

ثالثًا: لم تحدد لنا الروايات الثلاثة عدد الكتب والمخطوطات التي نُهبت على يد جوسلين وجنوده، والراجح أنها كانت بالمئات بحيث دفعت بجوسلين إلى حملها وبقية مقتنيات الدير على الجمال والبغال إلى كونتيته.

رابعًا: ذكرت الرواية الثالثة أن نهب الدير كان في يونيه سنة ١١٤٨م، وأن جوسلين أعاد للدير ما نُهب منه في ديسمبر سنة ١١٥٠م، أي أن المقتنيات ظلت في يد الصليبيين ما يقرب من عام ونصف، وهي فترة كافية ليضيع فيها العديد من مقتنيات الدير، وخاصة الكتب والمخطوطات. فلفائف المخطوطات والكتب ما كانت تستطيع الصمود أكثر من سنة ونصف في ظل ظروف الرطوبة العالية التي لا شك أنها أثرت على العديد من الكتب والمخطوطات. ولهذا فإننا نرجح ضياع العديد من كتب ومخطوطات دير مار برصوم بفعل الرطوبة والتعفن.

خامسًا: ما رواه ابن العبري بشأن الرؤى والأحلام التي رآها جند جوسلين وبعض من أقربائه، والتي جعل منها السبب الرئيس وراء عودة ما سُلب من مقتنيات الدير من كتب ومخطوطات لا تخرج عن كونها رؤى وأحلام مقدسة([124]) تم اختراعها ونسجها من أجل خدمة هدف معين.

فقصة الرؤيا لم نجد لها أثرًا في كتابات المعاصرين لهذه الفترة أو المتأخرين عنها زمنيًا، والغرض من إيرادها على هذه الصورة عند ابن العبري هو أن ينسب إلى القديس مار برصوم المعجزات والكرامات الجديرة بمكانته في نفوس المعاصرين من الرهبان السوريان خاصة وصليبي تلك الفترة على وجه العموم.

وتجدر الإشارة إلى أن مجتمع أوروبا العصور الوسطى بشكل عام، والمجتمع الصليبي بشكل خاص، كان يعجّ باستخدام الرؤى والأحلام المقدسة، خاصة إذا جابهت أفراد هذا المجتمع مشكلة ما، أو هددتهم المخاطر، أطلت عليهم تلك الرؤى والأحلام لتنقذهم من هذا الخطر، وتزيد من حماستهم وترفع من معنوياتهم([125]).

ورغم ذلك فإن قصة الرؤيا تلك لا تخلو من واقع تاريخي يمكن الاستناد إليه وهو عودة ما نُهب من الدير. والثابت أن ما نُهب من الدير عاد بعضه إليه بعد وقوع جوسلين الثاني في أسر السلطان نور

الدين محمود سنة ١١٤٩م ([126]) والراجح أن زوجه وقواده هم من أعادوا منهوبات الدير أواخر سنة ١١٥٠م.

خامسًا: بمطالعة تاريخ الدير بعد هذه النكبة في المصادر الثلاثة السابقة وغيرها من المصادر المعاصرة لم نجد أي إشارة عن وجود مكتبة عامرة بالكتب والمخطوطات بهذا الدير. مقارنة بالإشارات العديدة التي تحدثت عن غنى تلك المكتبة قبيل غزو جوسلين لها، مما ينهض دليلًا على أن ثمة نكبة حلت بمكتبة دير مار برصوم على يد الكونت الصليبي جوسلين.

الصليبيون ونهب مكتبة أسامة بن منقذ

الجدير بالذكر، أن بلاد الشام باعتبارها حاضرة من الحواضر العربية الإسلامية عرفت خلال عصر الحروب الصليبية أنواعًا متعددة من المكتبات لم تعرفها أي حضارة أخرى، فقد عرفت جميع أنواع المكتبات العامة والخاصة، مما يؤكد على تأصل حب العلم لأبناء هذه الحضارة([127]). وقد انتشر هذا النوع الأخير وأعني به المكتبات الخاصة في جميع بلدان العالم الإسلامي بشكل واسع وجيد، ومن أمثلة تلك المكتبات مكتبة الفارس والشاعر أسامة بن منقذ (ت ٥٨٣هـ/١١٨٨م)([128]) والتي مُنِيَتْ بنكبة على يد الصليبيين.

وقد عُرف عن أسامة بن منقذ حبه للعلم والفروسية، فقد نشأ في كنف أبوه وعمه وفي وسط أسرة من أشهر الأسر العربية محافظة على تقاليدها، ومن تقاليدها الموروثة الفروسية والعلم والأدب ([129]) لذلك كان والده وعمه حريصين على تعليمه الفروسية، كما حَرِصا على تعليمه وتثقيفه. فحفظ أسامة القرآن الكريم، ودرس النحو على يد الشيخ أبو عبدالله النحوي الطليطي (المتولي دار العلم بطرابلس) المعروف بسيبويه زمانه في النحو مدة قاربت نحو عشرين سنة ([130]). كما أبدى اهتمامًا ملحوظًا بالعلوم الطبية ([131])، كما عُرف عنه اتقانه لعدة علوم أخرى كعلم الفَلك وغيره من العلوم ([132]).

ورغم انشغال أسامه بن منقذ بأمور الجهاد والسياسة، فقد صنّف العديد من الكتب ما يؤلف مجموعها آلاف الصفحات، قُدرت بنحو نيفا وأربعين مؤلفًا، نذكر منها: كتابه الأشهر "الاعتبار"، وكتاب الأقسام في الشعر، وأخبار البلدان، وأخبار النساء، وأزهار الأنهار، وأمان الخائفين، وبديع الأحوال، وبديع الأسما في ماهية الحمى، والبديع في نقد الشعر أو البديع في البديع، والبشارة، والتاريخ البدري، وفيه جمع من شهد بدرًا من الفريقين، وتاريخ ذكر الحوادث من أول الهجرة إلى زمانه، والتأسي والتسلي من المراثي والتعازي، والتجارة المربحة والمساعي المنجحة، وتخليص مناقب العمرين لابن الجوزي، والحنين إلى الأوطان، والمدن والحصون، والقضاء، والعصا، ولباب الآداب، والمحاسن، ومكارم الأخلاق،

والمنتخب من أشعار العرب، والمماثلة في الشعر، وغيرها من المؤلفات التي تُنبيء عن عقلية موسوعية مثقفة وواعية ([133]).

هذه العقلية الواعية المثقفة ما كان لها أن تنبغ إلا بوجود مكتبة ضخمة حازها أسامة بن منقذ، وأفاد منها، وقد أشار إلي أغلبها في كتابه الأشهر "الاعتبار". والسؤال الذي يطرح نفسه، ماذا حصل لمكتبة ابن منقذ؟ . يحدثنا ابن منقذ نفسه عن النكبة التي ألمت بمكتبته على يد الصليبيين، وضياع أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، فيروي أنه بعد أن مكث بمصر عشرة سنوات (الفترة من ٥٣٩-٥٤٩هـ) رحل إلى دمشق سنة ٥٤٩هـ وهناك دخل في كنف الملك العادل نور الدين محمود، ومن دمشق أرسل إلى صديقه الملك الصالح طلائع بن رُزيك ([134]) وزير الخليفة الفاطمي يطلب منه أن يُرسل إليه بأهله الذين كان قد تركهم بمصر ([135])، وبعد أن فشل طلائع بن رزيك في اقناع أسامة بالعودة إلى مصر، أرسل إليه أسرته والتي كانت تضم أمه، وزوجه، وأخوه محمد، ومجموعة من أتباعه كانوا زهاء خمسين فردًا، وحملوا معهم جواهرهم وذهبهم ومبلغا يقدر بثلاثين ألف دينار، ومكتبته التي كانت تحوي أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، وكان أسامة قد أخذ موثقًا وعهدًا من الملك الصليبي بلدوين الثالث (١١٤٣-١١٦٣م)([136]) بتأمين المركب التي تقل أسرته التي تمر بعكا الصليبية، وبرغم الأمان المعطى لأسرة أسامة فقد وقعت في يد مجموعة من الصليبيين، ونُهبت أموال أسامة وكتبه ([137]). وقد عقّب أسامة على ذلك بقوله: " فهّون عليّ سلامة أولادي وأولاد أخي. وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال، إلا ما ذهب لي من الكتب، فإنها كانت أربعة آلاف مجلّد من الكتب الفاخرة. فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عشت"([138]).

الواقع أن رواية ابن منقذ السابقة تحمل العديد من الدلالات التي يمكن إجمالها في الآتي:

أولًا: يظهر من النص السابق أن حب أسامة لهذه المكتبة وحرصه عليها كان أكثر من حبه للمال وحرصه عليه، حيث كان حزنه على ضياعها كبيرًا وفي ذلك يقول: " فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عشت" [(139)].

ثانيًا: لا يُعرف مصير الأربعة آلاف مجلد التي وقعت في يد الصليبيين فهل قاموا بحرقها وإفنائها أم باعوها، والأرجح أنهم أفنوها فهذا مسلكهم. ولعل ما يرجح هذا التصور أن أكثر من عشرين مصنفًا لابن منقذ فُقِدت ولم يُعثر عليها حتى الآن، والأرجح أن مؤلفات له في صورة: التاريخ البدري، ومكارم الأخلاق، وكتاب تاريخ القلاع والحصون، وأخبار النساء ونصيحة الرعاة ، والنوم والأحلام، والشيب والشباب، والتأسي والتسلي، وأزهار الأنهار، والتجائر المربحة والمساعي المنجحة، وكتاب القضاء،

أخبار البلدان، أخبار بني منقذ، ومختصر سيرة عمر بن عبدالعزيز(140)كانت ضمن الأربعة آلاف مجلد التي ضاعت على يد الصليبيين وكلها لم يُعثر عليها حتى الآن.

ثالثًا: لم تحدد لنا رواية ابن منقذ السنة التي نهب فيها الصليبيون مكتبته الخاصة، والمرجح أنها كانت سنة ٥٤٩هـ الموافق سنة ١١٥٤م، أو السنة التي تلتها حيث كان ابن منقذ وقتها في زيارة للسلطان نور الدين محمود، المعاصر لملك بيت المقدس الصليبي بلدوين الثالث. الأمر الذي يؤكد على أن تدمير الصليبيين للكتب والمكتبات لم يكن إبان الحملة الصليبية الأولى وحدها، وإنما استمرت عمليات التدمير حتى بعد الحملة الصليبية الثانية، كما شهدت الحملة الصليبية الثالثة حادثة تدمير جديدة.

والواقع؛ أن مكتبة ابن منقذ لم تكن المكتبة الخاصة الوحيدة التي نُهِبَتْ على يد الصليبيين، فثمة مكتبة خاصة أخرى كانت تقع بمنطقة قرب مدينة الخليل تسمى خويلفة (141) جرى نهبها على أيدي جنود الحملة الصليبية الثالثة، وتحديدا سنة ١١٩٢م/٥٨٨هـ حسبما أشار الرحالة المسلم السائح الهروي، حيث روي السائح الهروي إبان زيارته لمدينة الخليل رواية سمعها من شخص يدعى الشيخ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الحافظ بثغر الإسكندرية يرفعها إلى شخص نسي الهروي اسمه أن كتبه استولى عليها الفرنج نوبة الوقعة بخويلفة لما قصدهم ريتشارد قلب الأسد Richard Heart of Lion (١١٨٩-١١٩٩م)(142) – يسميه الهروي الإنكتار ملك الفرنج- وأن ريتشارد أرسل إلى هذا الرجل رسولًا يعرض عليه إعادة المكتبة له بشرط أن يمثل بين يدي الملك ريتشارد لكن الرجل أبى أن يمضي إليه(143).

والواقع، أنه ليست لدينا أية تفاصيل عن حجم تلك المكتبة، وما كانت تحويه من كتب ومؤلفات، ولا ندر السبب الذي جعل ريتشارد قلب الأسد يعود فيرسل من قِبَلِهِ رسولًا إلى صاحب المكتبة يعده ويمنيه برد المكتبه عليه. على أن ما يهمنا هنا أن الملك ريتشارد لم يرد المكتبة لصاحبها، وأن مصيرها كان الضياع والفناء شأنها شأن غيرها من المكتبات العربية التي بادت وفنيت إبان العصر الصليبي.

نتائج البحث:

خرج البحث بعدة نتائج يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولًا: لا مبالغة في القول إن بلاد الشام شهدت خلال عصر الحروب الصليبية سقوط جثث الكتب بنفس عدد جثث البشر من لحم ودم. إذ لم يتورع الصليبيون عن وأد وتدمير بعض المكتبات، وبيع محتويات البعض الآخر، فعلى سبيل المثال تم حرق وإبادة مكتبة معرة النعمان سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ، والراجح أيضًا أنهم أحرقوا مكتبة كفر طاب سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، ومكتبة القدس سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، كما أحرقوا مكتبة طرابلس سنة ١١٠٩م/٥٠٢هـ وغيرها من المكتبات العربية التي كانت تحوي مئات الآلاف من الكتب بل وقيل الملايين من الكتب في شتى العلوم.

صحيح أنه لا توجد لدينا اعترافات رسمية من جانب المؤرخين الصليبيين بمسؤوليتهم عن حرق مكتبات معرة النعمان، وكفر طاب، والقدس، وغيرها من الحواضر الإسلامية التي غزوها، ولا نتوقع بطبيعة الحال منهم أن يعترفوا ببربريتهم- إلا أن الشواهد التاريخية، وإشارات بعض المصادر الإسلامية والسريانية تؤكد على أن هذه المكتبات أُبيدت بفعل الهمجية الصليبية. فتلك المكتبات كانت حاضرة قبل الغزو الصليبي، ثم ما لبثت أن اختفت من كتابات المؤرخين بعد الغزو الصليبي لبلاد الشام.

ثانيًا: المعروف أنه قد جرت العادة الإسلامية أن يودع الناس في المساجد عددًا من نسخ القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية النافعة كوقف لفائدة المطالعين والمصلين. وقد شكّل هذا النوع من المكتبات وأعني به مكتبات المساجد والجوامع، النوع الأول من المكتبات التي ظهرت في الحواضر الإسلامية. ثم ما لبثت أن أصبحت الدراسة على مختلف مراحلها وبأغلب فروعها تتم في المسجد والجامع، الأمر الذي جعل لهذه المكتبات المُلحقة بالمساجد مكانة مهمة، وطبقًا لما سبق، فلابد أن مساجد وجوامع معرة النعمان، وكفر طاب، التي أحرقها الصليبيون كانت بها خزائن للكتب راحت بأكملها ضحية الغزو الصليبي.

ثالثًا: الثابت أن المصاحف والكتب التي أشار لها كل من ابن الفقيه وابن عبد ربه وغيرهما بمدينة القدس قبل الغزو الصليبي، لم يعد لها ذكر في المصادر التي أرّخت للمدينة بعد الغزو الصليبي. بل تحدثت المصادر عن مدينة بيت المقدس التي ظلت بلا مكتبات إسلامية حتى استرد المسلمون المدينة سنة ١١٨٧م/٥٨٣هـ، فأعاد صلاح الدين الأيوبي المسجد الأقصى، ومسجد الصخرة إلى ما كانا عليه قبل الغزو الصليبي، ورتب لهما الأئمة، وأوقف عليهما الأوقاف، وحمل إليهما المصاحف والربعات الشريفة. وبذلك أعاد صلاح الدين تعمير مكتبات هذين المسجدين، كما أعاد تعمير بقية مكتبات مدينة بيت المقدس.

كذلك فإن الكتب التي أوقفها العلماء الذين عاشوا في مدينة بيت المقدس قبيل الغزو الصليبي لها، ومن أمثالهم أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، والإمام حامد الغزالي، والطرطوشي، والرميلي وغيرهم، كل هذه الأوقاف راحت ضحية الغزو الصليبي.

ومن ضحايا الغزو الصليبي أيضًا، ذاك الصرح العلمي الكبير المُسمى دار العلم الفاطمي، والذي أسسه الفاطميون بمدينة بيت المقدس قبيل الغزو الصليبي للمدينة، وظل يؤدي رسالته التنويرية حتى دخل الصليبيون مدينة بيت المقدس سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، فقتلوا العلماء، والأطباء الذين كانوا يعيشون كباحثين في المؤسسة، وأعادوا بناء كنيسة حنة القديمة كاملة على أنقاض تلك الدار التي لم نعد نسمع عنها بعد ذلك في المصادر المعاصرة. والمصير ذاته تكرر مع المكتبة المُلحقة بالبيمارستان الفاطمي الذي أسسه الفاطميون بمدينة بيت المقدس خلال الفترة نفسها.

رابعًا: إذا كانت الحروب الصليبية، قد أودت بحياة بعض المكتبات، ودمرت محتوياتها تدميرًا، فإن بيع محتويات بعضها الآخر كان أقل وطأة منها حيث كانت النتيجة الطبيعية لبيع مكتبة ما أن تكون نواة لمكتبة تنشأ حديثًا أو لتُدعم بها مكتبة موجودة بالفعل. ومع ذلك لم يصلنا من المصادر إبان فترة البحث أن أحدًا من الصليبيين صادر كتبًا لغرض القراءة أو بغرض تأسيس مكتبة، ولم يصلنا أن أحدهم منح مكتبة لدير أو كنيسة ليستفيد منها طلبة العلم. باستثناء المكتبة اليهودية، فهي المكتبة الوحيدة التي نجت من الدمار بعد المذبحة المروعة التي تعرضت لها مدينة بيت المقدس سنة ١٠٩٩م، والتي كانت تضم ثمانية من لفائف التوراة، وثلاثمائة وثلاثون مخطوطًا، والتي تم بيعها إلى الجالية اليهودية في عسقلان بثمن باهظ حسبما أشار المؤرخ الألماني هانز ماير.

خامسًا: على الرغم من صمت المصادر الصليبية عن حادثة نهب جوسلين كونت الرها لمكتبة دير مار برصوم، فإن المصادر السريانية لم تصمت عن ذلك، فقد أكدت رواية المؤرخ الرهاوي المجهول، وميخائيل السرياني، وابن العبري على نهب الصليبي جوسلين لمكتبة الدير والتي كانت تضم مئات المؤلفات والمخطوطات الثمينة التي لا تُقدر بثمن.

سادسًا: لم تسلم المكتبات الخاصة من نهب الصليبيين، فمكتبات في صورة مكتبة الشاعر والفارس أسامة بن منقذ، ومكتبة خويلفة راحت ضحية اللصوصية الصليبية رغم الأمان المعطى لأصحابها. والراجح أن مؤلفات لابن منقذ في صورة: التاريخ البدري، ومكارم الأخلاق، وكتاب تاريخ القلاع والحصون، وأخبار النساء ونصيحة الرعاة، والنوم والأحلام، والشيب والشباب، والتأسي والتسلي، وأزهار الأنهار، والتجائر المربحة والمساعي المنجحة، وكتاب القضاء، وأخبار البلدان، وأخبار بني منقذ،

ومختصر سيرة عمر بن عبد العزيز كانت ضمن الأربعة آلاف مجلد التي ضاعت على يد الصليبيين ولم يُعثر عليها حتى الآن.

سابعًا: لابد من لفت الانتباه إلى أمر مهم، وهو أن ما رصدته الدراسة هنا عن مصير المكتبات التي راحت ضحية التدمير والنهب الصليبي، هي فقط ما وصلتنا إشارات مصدرية عنها. ولا شك أن مكتبات عديدة جرى تدميرها لم تفطن إليها أقلام المؤرخين المعاصرين.

ثامنًا: خلاصة القول إن وباء إحراق الكتب الذي استشرى شره بين الملوك والأمراء الصليبيين؛ دلّ على كراهية الصليبيين للعلم والثقافة شأنهم شأن أي مستعمر يرهب من الكلمة، كما يرهب السلاح.

حواشي البحث:

(1) محمد مؤنس عوض: عصر الحروب الصليبية بحوث ودراسات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.١، القاهرة ٢٠٠٦م، ص١١٦.

(2) عمر عبد السلام تدمري: الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، دار فلسطين للتأليف والترجمة، ط. بيروت ١٩٧٢م، ص٦٠.

(3) محمد كرد علي: خطط الشام، ٦ أجزاء، الطبعة الثانية، دمشق، مكتبة النوري، ب. ت.

(4) عمر عبد السلام تدمري: مكتبات بني عمار في طرابلس في الشام المسماة دار العلم، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، العدد (١)، السعودية، جمادى الآخرة -يناير ١٩٩١م، ص ٨٢-١١٠.

(5) Lucien X. Polastron، "Books on fire The Destruction of Libraries throughout History"، Jon E. Graham (Inner Traditions، Rochester، Vermont 2007). Trans.

اعتمد الباحث على الترجمة العربية: لوسيان بولاسترون: كُتب تحترق تاريخ تدمير المكتبات، ترجمة: هاشم صالح ومحمد مخلوف، مراجعة: عبد الودود العمراني، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط. الدوحة ٢٠١٠م.

(6) معرة النعمان: سُميت بذلك نسبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري، الذي حازها إقطاعًا من معاوية بن أبي سفيان فنُسبت إليه، وهي مدينة كبيرة عامرة من أعمال حمص، تقع بين حلب وحماه. للمزيد عنها انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ب.ت، ج٥، ص ١٥٦؛ شهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز و حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط.١، بيروت ٢٠٠٤م، ج٢٨، ص ١٦٤، هامش ٢؛ ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق وتقديم سهيل زكار، دار الفكر، ط. بيروت ١٩٨٨م، ج١، ص١٢٧-١٢٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الأنشا، المطبة الأميرية، ط.القاهرة ١٩١٤م، ج٤، ص١٤١-١٤٢.

يرى أبو الحسن الهروي أن المعرة من أعمال حماة، وأنه كان اسمها قديما ذات القصور ثم تسمت بمعرة النعمان نسبة إلى النعمان بن بشير. انظر: أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: د.علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط.١، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٧-١٨.

وللمزيد عنها انظر : محمد سليم الجندي: تاريخ معرة النعمان، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: عمر رضا كحّالة، الطبعة الثانية، منشورات وزارة الثقافة، ط. دمشق ١٩٩٤م، ج١، ص١٧ وما بعدها .

(7) عُرفت المكتبة منذ صدر الإسلام بالخزانة؛ حيث كانت الكتب تُحفظ داخل خزانة خشبية، واستمرت هذه التسمية في مختلف حواضر العالم الإسلامي حتى أواسط الثامن عشر الميلادي/الثاني عشر الهجري، حيث أُضيفت إليها كلمة كُتُبية فصارت تُعرف المكتبة "بخزانة الكُتُبية"، ثم أُطلق عليها مؤخرًا مصطلح "مكتبة". ويشار أن لفظ "خزانة" ما زال شائعًا في دول المغرب العربي حتى الآن. انظر: بشير عبد الغني بركات: تاريخ المكتبات العربية في بيت المقدس، مراجعة: إبراهيم باجس عبد الحميد، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط. الرياض ٢٠١٢م، ص٣٣، هامش (١).

(8) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ١٥٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٦٤، هامش ٢ ؛ أنتوني بردج: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة أحمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي، مراجعة وتقديم: سهيل زكار، دار قتيبة، ط. دمشق ١٩٨٥م، ص٩٦؛ عبد الستار مطلك درويش وأحمد محمود حمود شنتاف: "الاحتلال الصليبي لمعرة النعمان (٤٩٢-٥٢٩هـ/١٠٩٨-١١٣٥م)"، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، كلية الآداب-جامعة الأنبار، العدد الأول، مارس ٢٠١٣م، ص١٤٢.

(9) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٤١-١٤٢.

(10) رايموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى الانجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوم هيل ولوريتال هيل، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، ط.الإسكندرية ١٩٨٩م، ص١٦٥.

(11) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.القاهرة ١٩٩٢م، ج٢، ص٣٤.

(12) أبو العلاء المعري: هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري، ولد بمعرة النعمان سنة ٣٦٣هـ، فنُسب إليها، وعمي بالجدري وعمره أربع سنوات، ارتحل يجمع العلم من بغداد ثم عاد إلى المعرة وأقام بها حتى وفاته سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م. وكان عالمًا فذًا وشاعرًا وأديبًا كبيرًا. انظر: ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق وتقديم: سهيل زكار، دار الفكر، ط. بيروت ١٩٨٨م، ج٢، ص٨٦٣، ٨٦٦-٨٦٧، ٨٧٩، ٩٠٨-٩١٠؛ أحمد تيمور باشا: أبو العلاء المعري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط.القاهرة ٢٠١٢م، ص١١ وما بعدها.

(13) محمد كرد علي : خطط الشام، مكتبة النوري، ط.٢، دمشق ١٩٨٣م، ج٦، ص ١٨٥-١٨٦.

(14) محمد كرد علي : خطط الشام، ص ١٨٥-١٨٦.

(15) بنو عمار: ينحدر بنو عمار في الأصل من قبيلة كتامة المغربية الأفريقية. وقد اعتنقت هذه القبيلة المذهب الشيعي، الذي انتشر في بلاد المغرب العربي، وعندما قامت الدولة الفاطمية تولى شيوخ هذه القبيلة مراكز قيادية في مصر والشام، فكان منهم: أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمار بن أبي الحسين، والذي سطع نجمه في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله فكان من أجل كتابه، وفي خلافة الحاكم بأمر الله صار أمينا للدولة الفاطمية. وهو الذي فتح الطريق لأبناء قبيلته لينتقلوا إلى الشام حيث أرسل القائد أبو تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي إلى دمشق، فقام أبو تميم هذا بوضع أخيه على بن جعفر واليا على طرابلس سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م. وتذكر المصادر التاريخية أن أمين الدولة بدأ يحكم طرابلس عقيب سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٦م، بشيء من الاستقلال الذاتي، وبعد استقلال بني عمار بطرابلس سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م بدأت مرحلة مهمة في حياة المدينة لما اشتهرت به هذه القبيلة بالعفة والشجاعة وحبهم للمعرفة وحرصهم على الوحدة بين أبناء المجتمع. فقد استطاعوا تكوين دولة تمتد من تخوم بيروت من جهة وحتى أرباض أنطاكية ومن ناحية جبل في سورية إلى قلعة صافتيا وحصن الأكراد والبقيعة في لبنان حتى الهرمل والخنية وجبة بشرى وبلاد العاقورة شرقي بلا جبيلة. حيث قام أمين الدولة في هذه الأثناء باسقاط الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي من منابر طرابلس واستبد أمين الدولة بأمر طرابلس، وخلع طاعة أمير الجيوش، وتغلب على مدينة جبيل وضمها إلى نفوذه، ووضع بذلك النواة الأولى لقيام إمارة بني عمار المستقلة في طرابلس. انظر: عاصم إسماعيل كنعان و نعمة شهاب جمعة : "الدور السياسي والثقافي في طرابلس ٤٥٧-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٩م"، مجلة الفتح، العدد (٢٦)، بغداد ٢٠٠٦م، ص٢٥٥-٢٥٨ .وللمزيد عن بني عمار وإمارة طرابلس انظر: فيليب حتي: لبنان في التاريخ، دار الثقافة، ط. بيروت ١٩٧٢م، ص١٨٨ وما بعدها ؛ فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، ط. بيروت ١٩٥٨، ج١،ص٢٤١-٢٤٨ ؛ السيد عبدالعزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية ١٩٦٦م، ص ٢٥.

(16) بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١٣٠.

(17) بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١٢٧.

(18) بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١٣٠.

(19) بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١٣٠-١٣١.

(20) أبو القاسم الوزير المغربي: هو أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد المغربي، ولد بحلب سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م، وتوفى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، ودُفن بالكوفة، وهو أديب وشاعر وناثر، تقلد الوزارة أكثر من مرة فعُرف

بالوزير، ولم يكن من أهل المغرب، وإن أوحت هذه النسبة بذلك، بل كان مشرقيًا بعيد الجذور في الانتماء المشرقي، يرفع نسبه إلى الملك الفارسي بهرام جور، ويُقال أنه عُرف بالمغربي نسبة إلى أحد أجداده، وهو أبو الحسن علي بن محمد، ولذلك عُرف بالوزير المغربي. عنه بالتفصيل انظر: احسان عباس: الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي العالم الشاعر الناثر الثائر(٣٧٠-٤١٨هـ)، دار الشروق، ط.١، عمان ١٩٨٨م، ص ٧ وما بعدها.

(21) عن خزائن الكتب بجامع حلب وحماة وبعلبك انظر: ابن جبير: رحلته، دار صادر، ط. بيروت ب. ت،ص٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٢؛ ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢، ص١١١، ١٣٢، ١٤٥؛ شفيق محمد الرقب: "بلاد الشام في رحلة ابن جبير"، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج (٢٨)، عدد (٢)، جامعة مؤتة، الأردن ٢٠٠١م، ص ٣٤٦ وما بعدها؛ خالد يوسف صالح: "حلب والموصل في العهد الأيوبي، من خلال رحلة ابن جبير دراسة مقارنة في الجانب المعماري"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج (٨)، عدد (١)، ٢٠٠٨م، ص ٢١٢ وما بعدها؛ بشري جعفر أحمد: "حلب من خلال كتابي الرحالة ناصر خسرو وابن جبير"، مجلة كلية التربية الأساسية، مج (١٩)، عدد (٨٠)، بغداد ٢٠١٣م، ص ٥٨٢ وما بعدها؛ فاطمة بلهواري: "الشام في رحلة ابن جبير الكناني"، مجلة التراث العربي، وهران –الجزائر، ب-ت، ص ١٩٨ وما بعدها.

(22) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ط. بيروت ١٩٧٨م، ص٨٢-٨٣ ؛ شعبان عبدالعزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، ط.٢، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٣٤٩.

(23) رايموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص١٦٥؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص١٤٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٤١-١٤٢.

(24) عبد الستار مطلك درويش وأحمد محمود حمود شنتاف: "الاحتلال الصليبي لمعرة النعمان (٤٩٢-٥٢٩هـ/١٠٩٨-١١٣٥م)"،ص ١٤٧.

(25) هانز ماير: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، ط.القاهرة ١٩٩٩م، ص٨٦.

(26) رايموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص١٦٥؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤.

(27) تَلُّ مَنَّس: حصن بالقرب من مدينة معرة النعمان، وهي قرية من قرى حمص بالشام. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢.

(28) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٣٨.

(29) بوهيموند الأول: هو أكبر أبناء روبرت جويسكارد Robert Guischard دوق كالابريا Calabria . ولد سنة ١٠٥٨م في جنوب إيطاليا. وقد شارك في الحملة الصليبية الأولى التي خرجت من الغرب الأوروبي سنة ١٠٩٦م، واشترك في حصار مدينة أنطاكية حتى تم الاستيلاء عليها بعد حصار دام ٩ أشهر، وأصبح أول حاكم صليبي لها. انظر:

Yewdale، Bohemond I، Prince of Antioch، (Amsterdam 1970)، pp.9-51.

(30) ريموند الرابع كونت تولوز: ولد بكونتية تولوز بفرنسا سنة ١٠٤٥م، وهو أحد أمراء الغرب الأوربي الذين شاركوا في الحملة الصليبية الأولى، حيث خرج على رأس جيوش جنوب فرنسا والبروفنسال في أكتوبر ١٠٩٦م، وكان بصحبته أدهيمار أسقف لي بوي مندوب البابا أوربان الثاني Urban II (1088-1099)، وقد ذكرته المصادر العربية بالصنجيلي نسبة إلى مقاطعة سان جيل Saint Gilles، توفى بإمارة طرابلس في الثاني والعشرين من يونيو سنة ١١٠٥م. انظر: محمود محمد الحويري: بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، دار المعارف، ط.١، القاهرة ١٩٩٢م، ص٤٠. وعنه بالتفصيل انظر:

Hill J. Hugh، Raymond IV Count of Toulouse، (Syracuse 1962).

(31) عن تفاصيل عمليات الحصار والاستيلاء على مدينة معرة النعمان انظر: مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتقديم وتعليق: حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ١٠٤-١٠٦؛ بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة وتعليق: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية ١٩٩٩م، ص٢٦٢؛ رايموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص١٦٦، ١٦٨-١٦٩؛ فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي في فلسطين "تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م"، ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، الطبعة الأولى، دار الشروق، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص١٢٨ ؛ ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ترجمة وتحقيق: سهيل زكار، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ط. دمشق ٢٠٠٧، ج٥١، ص١٢١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤-٣٧؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م، ص١٣٦؛ ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢، ص١٤١-١٤٣؛ ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط. بيروت ٢٠١٢م، ج ٨، ص٤٢٠؛ محمد سليم الجندي: تاريخ معرة النعمان، ج١، ص١٧ وما بعدها .

(32) مجهول: أعمال الفرنجة، ص١٠٦؛ بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص٢٦٢؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٦؛ أبو المحاسن بن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ج٥، ص١٤٩-١٥٠.

(33) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٤١-١٤٣.

(34) ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ج٥١، ص١٢١.

(35) رايموندأجيل: تاريخ الفرنجة، ص١٦٩.

(36) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٧.

(37) سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٤م،ج١، ص٢٢٣-٢٢٤.

(38) مجهول: أعمال الفرنجة، ص١٠٦؛ رايموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص١٦٥-١٦٦، ١٦٨-١٧٢ ؛ فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي في فلسطين، ص١٢٨ ؛ ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ج٥١، ص١٢١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤-٣٧.

(39) عماد الدين زنكي: ابن قسيم الدين آقسنقر أتابك الموصل. تولى عماد الدين زنكي أتابكية الموصل بعد وفاة والده، واتخذها قاعدة للتوسع وتوحيد الجبهة الإسلامية في الفترة من (١١٢٨م/٥٢٢هـ- ١١٤٦م/٥٤١هـ). وقد كان شجاعًا شهمًا غيورًا على دينه، وقد ختم الله حياته بالشهادة في سبيله. انظر: العماد الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، ط.بيروت ١٩٨٠م، ص١٨٧.

(40) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٨٦-٨٧.

(41) الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص١٧-١٨.

(42) رحلة ابن جبير، ص٢٢٩.

(43) رحلة ابن جبير، ص٢٤٢.

(44) كفر طاب: بلدة صغيرة من أعمال حمص غربي حلب، على الطريق بين معرة النعمان وشيزر، حيث تبعد عنهما مسافة إثنا عشر ميلًا، وحاليا تقع على مسافة ما يقرب من ٣ كم إلى الغرب المباشر لخان شيخون الواقعة على الطريق العام دمشق – حلب، وتبعد خان شيخون عن معرة النعمان مسافة ٢٥ كم. انظر: بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص٢٩٥، هامش١؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص١٤٢، هامش١.

(45) مجهول: أعمال الفرنجة، ص١٠٧؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٤٤.

في كتابه زبدة الحلب يذكر ابن العديم أن المدينة سقطت في سنة ١١٠١م/ ٣٩٥هـ، في حين يذكر في كتابه بغية الطلب أن المدينة سقطت في أيدي الصليبين سنة ٩٨٣م/ ٣٧٣هـ، وقد صحح المحقق د. سهيل زكار السنة فذكر أن الصواب سنة ١١٠٠م/ ٤٩٣هـ. ولعل السنة الأصح هي ٤٩٦هـ/ ١١٠١م. انظر: ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٤٤؛ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١٤١. وانظر هامش١، نفس الصفحة. وعن تفاصيل استيلاء جيوش الحملة الصليبية الأولى على مدينة كفر طاب انظر: أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٦.

(46) ذكره أبو المحاسن باسم: نصر بن علي بن المُقلَّد بن نصر بن مُنقِذ الكناني. وأنه كان له ملك شيزر بعد أبيه. كما ذكر وفاته بسنة ١٠٩٩م/ ٤٩٢هـ. انظر: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٦٣.

(47) سليمان بن قُتُلمش: هو سليمان بن قُتلمش بن إسرائيل بن سلجوق، تولى حكم المنطقة الشمالية الغربية من سلطنة السلاجقة بعد رحيل السلطان ألب أرسلان، وقرر إقامة سلطنة لنفسه في قونية وآقسرا وغيرهما من الولايات التي كانت بيد والده قُتلمش، وقد نجح سنة ١٠٨٤ م/٤٧٧هـ في انتزاع مدينة أنطاكية من البيزنطيين وضمها إلى سلطنته، لذلك يعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي لسلطنة سلاجقة الروم. وقد ثار نزاع بينه وبين تتش بن ألب أرسلان انتهى بمقتل سليمان سنة ١٠٨٦م/٤٧٩هـ. انظر: أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية، ط.١، الكويت ١٩٧٥م، ص٨٧-٨٨؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، ط.٣، بيروت ٢٠٠٩، ص١٣٨-١٤٠.

(48) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٢، ٨٧١-٨٧٢.

يُذكر أن مقلد بن نصر هذا كان قد نجح في الاستحواذ على كفر طاب سنة١٠٤٢م/ ٤٣٣هـ. انظر: محمد محمد مرسي الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م، ص٣٣.

(49) أحمد تيمور باشا: أبو العلاء المعري، ص٨٣.

(50) محمد كرد علي: خطط الشام، ج٦، ص ١٨٥-١٨٦.

(51) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١٤١.

(52) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١٤١.

(53) مجهول: أعمال الفرنجة، ص ١٠٧؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٤٤ عن تفاصيل استيلاء جيوش الحملة الصليبية الأولى على مدينة كفر طاب انظر: أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٦.

(54) كامل جميل العسلي: "دور الكتب في القدس"، المجلة العربية للمعلومات، مج٢، عدد (١)، تونس ١٩٨٠، ص١٤.

(55) كامل جميل العسلي: "دور الكتب في القدس"، ص١٤ ؛ ابن الفقيه، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني: كتاب البلدان، تحقيق : يوسف الهادي، عالم الكتب، ط.١، بيروت ١٩٩٦م، ص١٥٠.

(56) ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق: د. عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط.١، بيروت ١٩٨٣م، ج٧، ص٢٩١؛ كامل جميل العسلي: "دور الكتب في القدس"، ص١٤-١٥.

(57) كامل جميل العسلي: "دور الكتب في القدس"، ص١٥.

(58) راجع في ذلك : المنهاجي السيوطي: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق: أحمد رمضان أحمد، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

(59) أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي: من علماء الحديث المقدسيين الذين ذاع صيتهم في الحديث الشيخ نصر بن إبراهيم بن نصر بن داود أبو الفتح المقدسي، وأصله من نابلس، سكن بيت المقدس ودرّس بها، وكان يأتيه الناس في بيته

لينهلوا من علمه. وظل عاكفًا على العلم إلى أن مات سنة ١٠٩٧م/٤٩٠هـ، ومن أهم كتبه في الحديث "التهذيب"، وكتاب "التقريب"، وكتاب "الكافي" وغيرها من الكتب. انظر: شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الحادية عشرة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م، ج١٩، ص١٣٦-١٤٢؛ مجير الدين الحنبلي العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص٢٩٧-٢٩٨؛ بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٥١.

(60) شعبان خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، ط.٢، القاهرة ٢٠٠١م، ص٣٥٥.

(61) بكر حرب سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس من بداية العصر العباسي وحتى الغزو الصليبي (١٣٢-٤٩٢هـ/٧٥٠-١٠٩٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠١٦م، ص١٢٤.

(62) كامل جميل العسلي: "دور الكتب في القدس"، ص١٥.

(63) الحاكم بأمر الله: هو المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي، ولقبه الحاكم بأمر الله، وهو الخليفة الفاطمي السادس، ولد في مصر سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، خلف والده العزيز بالله الفاطمي في الحكم وهو دون الثانية عشرة، وذلك سنة ٩٩٦م، وظل على كرسي الخلافة حتى اختفائه سنة ٤١١هـ/ ١٠٢١م، وتذهب كثير من الروايات إلى أنه قتل نتيجة مؤامرة دبرتها ضده أخته ست الملك لأسباب شخصية. للمزيد عنه انظر: تقي الدين المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩٦م، ج٢، ص٣ وما بعدها؛ محمد عبدالله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٣م،ص٨٦ وما بعدها. وللمزيد عنه انظر: بول ووكر: الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله، ترجمة: سيف الدين القصير، دار المدى، ط.١، دمشق ١٩٨٠م؛ عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. القاهرة ١٩٨٢م. وراجع أيضًا:

De Lacy O'Leary. D.D. ،A History of the Fatimid Khalifate ،London 1923 ،pp.123-188.

(64) أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص٢٢٢؛ بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٧.

(65) عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، الطبعة الخامسة، ط. القدس ١٩٩٩م، ص١٣٧؛ بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٧.

(66) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ١٠٢.

(67) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور و حسنين ربيع، دار الكتب والوثائق القومية، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج٤، ص٤٠٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ١٠٢ ؛ شعبان عبدالعزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، ص ٣٠٢؛ ثريا محمد عطية الغانمي: "الحياة العلمية والفكرية في بيت المقدس في العصر الأيوبي"، ضمن كتاب الصليبيون في الشرق، بحوث لتكريم المؤرخة الراحلة أ.د/ علية الجنزوري، تحرير: أ.د/محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص١٠٤.

عندما دخل صلاح الدين القدس بعد تسعين عامًا تقريبًا (١١٨٧م/٥٨٣هـ) بنى مكان الكنيسة مدرسة للشافعية. انظر: العماد الكاتب الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، د. ن، د. ت، ص٧٩-٨٢ ؛ الفتح بن علي البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص٣١٤-٣١٦؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس، ط. عمان ١٩٩٩م، ج١، ص٣٣٤؛ ثريا محمد عطية الغانمي: "الحياة العلمية والفكرية في بيت المقدس في العصر الأيوبي"، ص١١٩.

(68) بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٩-١٣٠ ؛ أحمد الخالدي: المعاهد المصرية، ص٦.

(69) بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٩-١٣٠.

(70) الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ابن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي، المشهور بابن أبي رندقة. ولد في مدينة طرطوشة الأندلسية سنة ٤٥٠ أو ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م وحفظ فيها القرآن وتعلم القراءة والكتابة ثم انتقل إلى سرقسطة وتتلمذ على يد أبي الوليد الباجي. وفي عام ٤٧٦هـ ذهب في رحلة للمشرق الإسلامي، فاتجه إلى مكة ليؤدي الحج، ثم قصد بغداد والبصرة ومكث فيهما مدة من الزمن يتفقه على علماء العراق. توجه بعدها إلى الشام، فزار حلب وإنطاكية ونزل بمدينة بيت المقدس ثم قصد بعد الشام الإسكندرية ومكث فيها معلما للفقه والحديث حتى وفاته سنة ١٠٥٨هـ/ ١١٢٦م. انظر: مجير الدين الحنبلي العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص٣٠١؛ جمال الدين الشيال: أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، ب. ن، ب. ت، ص ٦-٧، ١٤-١٥؛ بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٧.

(71) الغزَّالي: هو أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري. ولد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م بطوس، ثم انتقل إلى بغداد وعمره ٣٥ عاما مدرسًا بالمدرسة النظامية، ثم انتقل إلى بيت المقدس وظل بها ثلاثة سنوات، يقوم بالتدريس والتأليف، وقد ألف فيها كتابه الأشهر "الإحياء". وقد توفى بمدينة طوس سنة ٥٠٥هـ/١١١١م. انظر: بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٧؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا، و مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، ب-ت، ج١٧، ص١٨.

(72) مجير الدين الحنبلي العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص٢٩٩؛ بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٨.

(73) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج١، ص١٠٤؛ بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٨.

(74) بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٩-١٣٠.

(75) شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص١٣٦-١٤٢ ؛ مجير الدين الحنبلي العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص٢٩٧-٢٩٨؛ ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي رضي الله عنه، مكتبة الثقافة الدينية، ط.١، القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٩٩-١٠٠؛ بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٥١.

(76) الرُمَيلي: هو الشيخ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري الرميلي الشافعي الحافظ، كان مولده سنة ٤٣٢هـ، درس بأصبهان، ثم استوطن بغداد، ثم انتقل إلى بيت المقدس، وظل بها حتى استشهاده على يد الصليبيين سنة ٤٩٢هـ. انظر: مجير الدين الحنبلي العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(77) السمعاني: الأنساب، تحقيق وتقديم وتعليق: عبدالله عمر البارودي، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، ط.١، بيروت ١٩٨٨م، ج٣، ص٩٣؛ أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٢٧.

(78) الرازي: أبو القاسم عبدالجبار بن أحمد بن يوسف الرازي شافعي المذهب، تفقه في بداية حياته على يد علماء العراق، ثم انتقل إلى بيت المقدس وظل بها حتى استشهاده على يد الجنود الصليبيين سنة ١٠٩٩م. انظر: مجير الدين الحنبلي العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص٢٩٩؛ بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٤١.

(79) تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي و عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط. القاهرة ب-ت، ج٥، ص٩٨؛ بكر سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس، ص١٤١.

(80) ثريا محمد عطية الغانمي: "الحياة العلمية والفكرية في بيت المقدس في العصر الأيوبي"، ص١١٩.

(81) جودفري البولوني: أحد قادة الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩م) وهو أول حاكم صليبي لمدينة بيت المقدس (١٠٩٩-١١٠٠م). ولد في الربع الثالث من القرن ١١م، وهو الابن الثاني ليوستاس الثاني Eustace II كونت بولون Boulogne، وإيدا أوف بويون Idu of Bouilon ابنة جودفري الثاني Godfrey II دوق لوثرنجيا العليا والسفلى

Upper and Lower Lotharingia . شارك في أحداث الحملة الصليبية الأولى، وبعد سقوط مملكة بيت المقدس في أيدي الصليبيين تم اختياره كأول حاكم لها سنة ١٠٩٩م، واستمر في الحكم حتى عام واحد فقط. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٨٨-٣٨٩ . وللمزيد عنه انظر:

trans. By Aubrey ، The Book of the Wanderings of Felix Fabri (Circa 1480-1483A.D.)،Felix Fabri ، Godefroy de Bouiion، pp. 614-615; Aube، vol. II، (London 1896)، in P.P.T.S. 2 vols.،Stewart (Paris 1985).

وانظر أيضًا: سرور عبد المنعم على: "جودفري دي بوايون حاكماً للكيان الصليبي (١٠٩٩-١١٠٠م/٤٩٣-٤٩٤هـ)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد الرابع عشر، مارس ٢٠٠٤م.

(82) علي أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمي، دار الفكر العربي، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٠١-١٠٢.

(83) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٢٤-٤٢٥؛ القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، ط. بيروت ب-ت، ج٢، ص١٥-١٦؛ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٨-١٤٩؛ مجير الدين الحنبلي العليمي :الأنس الجليل، ص٣٠٧-٣٠٨.

(84) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٥٢.

(85) مجهول: أعمال الفرنجة، ص١١٨.

(86) مجهول: أعمال الفرنجة، ص١١٨.

(87) فوشيه دي شارتر: الاستيطان الصليبي، ص١٣٦.

(88) فوشيه دي شارتر: الاستيطان الصليبي، ص١٣٦-١٣٧.

(89) ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ج٥١، ص١٤٣-١٤٤.

(90) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٧.

(91) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة ١٩٩٩/٢٠٠٠م، ص٨٤.

(92) هيئة فرسان الداوية: عُرفوا في مدينة بيت المقدس باسم فرسان المعبد أو الهيكل، وهى هيئة عسكرية نشأت بعد عشرين عامًا من قيام هيئة الإسبتارية، وتختلف عن الإسبتارية فى أنها تبنت سياسة حربية منذ بداية نشأتها، وقد اتخذت من مدينة بيت المقدس مقرًا لها. للمزيد راجع : وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٤٥-٣٤٧ ؛ إبراهيم خميس إبراهيم سلامه: العلاقات السياسية بين جماعة فرسان الداوية والمسلمين فى بلاد الشام (١١٩٣-١٢٩١م/٥٨٩-٦٩٠هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م، ص٣٤-٤١؛ محمد مؤنس عوض: التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية فى القرنين ١٢-١٣م/٦-٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م، ص٣٧٣وما بعدها ؛نبيلة إبراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص١٦-٢١. وأيضًا انظر:

Piers Paul Read، The Templars، London 1999، pp. 91-94.

(93) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٧٦، ٧٩-٨٢ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٥٥١؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص٣١٤-٣١٦؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج١، ص٣٣٤؛ ثريا محمد عطية الغانمي: "الحياة العلمية والفكرية في بيت المقدس في العصر الأيوبي"، ص١١٩.

(94) هانز ماير: تاريخ الحملات الصليبية، ص٩٠.

(95) البنداري: سنا البرق الشامي، ص٣١٦؛ مجير الدين الحنبلي العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص٣٣٩.

(96) دير مار برصوم: تأسس هذا الدير في غضون القرن الثامن الميلادي، حوالي سنة ٧٩٠م بالقرب من مدينة ملطية وكان الغرض منه الانقطاع فيه للعبادة عن طريق الرهبنة. وقد حمل الدير اسم أحد النساك السوريان وهو القديس مار برصوم الذي ظهر في القرن الخامس الميلادي، وُعرف بالنسك والتقوي. انظر: بولس بهنام : تاريخ دير مار برصوم، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل ١٩٥١م، ص٢-٤، ص١٢.

(97) ابن العبري: التاريخ الكنسي، تجمه عن السريانية: صليبا شمعون، دار المشرق الثقافية، ط. دهوك ٢٠١٢م، ص١٢٥-١٢٧.

(98) الرهاوي المجهول، تحقيق وترجمة : سهيل زكار، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ط. دمشق ١٩٩٥م، ج٥، ص٨٢.

(99) ملطية: ذكرها ياقوت الحموي بأنها من بلاد الروم، تتاخم بلاد الشام. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٦٣٤.

(100) أغناطيوس أفرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، تقديم: المطران غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، ط.٦، حلب ١٩٩٦م، ص٢١.

(101) يوحنا بن شوشان: تولى بطريركية كنيسة بعد وفاة البطريرك مار أثناسيوس، وكان رجل علم وتقوى، متبحرًا في العلوم الدينية والدنيوية، وقد ترك عدة مؤلفات أهمها جمعه لتعاليم أفرام ومار إسحق. انظر: مار ميخائيل السرياني الكبير: تاريخه، ج٣، ص١٤٠؛ ابن العبري: التاريخ الكنسي، ص١١٠-١١١.

(102) بولس بهنام : تاريخ دير مار برصوم، ص٢٠.

(103) الفناقيث: هي كلمة سريانية تعني الوثيقة أو المعيّن، وهي مؤلفات سريانية تتناول صلوات الآحاد والأعياد. انظر: للمزيد انظر: أغناطيوس أفرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص٦٩ وما بعدها.

(104) بولس بهنام : تاريخ دير مار برصوم، ص١٨.

(105) أثناسيوس السادس: هو أثناسيوس أبو الفرج بن كمارا، ولد في مدينة آمد، وتربى وتثقف في ملطية، ثم تتلمذ في دير مار برصوم، وقد شغل البطريركة خلفًا للبطريرك الراحل ديونيسيوس مرقس سنة ١٠٩٠م. وظل في منصب البطريركية حتى وفاته سنة ١١٢٩م. انظر: ابن العبري: التاريخ الكنسي، ص١١٤-١٢٠.

(106) أغناطيوس أفرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص٢٤.

(107) بولس بهنام: تاريخ دير مار برصوم، ص١٧.

(108) مار ميخائيل الكبير: ولد في مدينة ملطية سنة ١١٢٦م، ونشأ في دار سريانية معروفة بالعلم، فأبوه القس ايليا من مدينة ملطية، من عشيرة قندسي، عُرف بمحبته للعلم والفضيلة، وقد ترك للكنيسة مصنفات عديدة قيمة، ونظرا لكفاءته تولى عدة مناصب كنسية، فتولى رئاسة دير مار برصوم، ثم رُسم بطريركاً في دير مار برصوم سنة ١١٦٦م،، توفى سنة ١١٩٩م عن عمر يناهز الثالثة والسبعين عامًا، ودُفن في كنيسة دير مار برصوم. للمزيد انظر: ابن العبري: التاريخ الكنسي، ص١٣٣-١٤٩.

(109) مار يعقوب السروجي: ولد مار يعقوب في قرية كورتم الواقعة على ضفة انهر الفرات، وقيل في بلدة حورا من عمل مدينة سروج عام ٤٥١م وتخرج في مدرسة الرها بعد أن نهل من علومها اللغوية والفلسفية واللاهوتية الكثير، دخل الرهبنة وهو صغير السن، ثم رُسّم قسا ثم تقلد رتبة زائر (البريودوط) لبلدة حورا، وفي آواخر عمره تم تعيينه أسقفا لأبرشية بطنان سروج سنة ٥١٩م، وتوفى في التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ٥٢١م. ثم نقلت رفاته إلى هيكل خاص به في مدينة ديار

بكر. وقد كان مار يعقوب عالما كبيرا ترك العديد من المصنفات والتي يأتي على رأسها ميامره (قصائده) التي نقلت إلى دير مار برصوم، انظر: أغناطيوس أفرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص٢١٩-٢٢٢.

(110) مار أفرام السرياني: ولد حوالي سنة ٣٠٠م في مدينة نصيبين، في أسرة مسيحية، خلافًا للرواية التي تقول بمولده وثنيًا ثم اهتدى في زهرة عمره إلى المسيحية، وقد نشأ خير نشأة، حيث لزم مار يعقوب أسقف نصيبين فأفاد منه ورعًا وأدبًا وعلمًا، وقد ترهب ورُسّم شماسًا وحاضر في مدرسة نصيبين التي أنشأها أستاذه. توفي في التاسع من يونيو سنة ٣٧٣م، وبني فوق ضريحه دير بجوار الرها عُرف بالدير السفلي. وقد ترك مار أفرام العديد من المؤلفات منها شرحه لسفر التكوين، وترجمة أرمينية من تفسيره للإنجيل المعروف بالدياطّرون، وتفسير الرسائل البولسية، وغيرها، ولكن أبرز مصنفاته التي رفعت اسمه هي ميامره أي قصائده المنظومة على البحر السباعي المنسوب إليه، ومداريشه أي أناشيده وكلها تدور حول مواضيع دينية كلاهوت السيد المسيح، وناسوته وخوارقه، وتعاليمه، وأوامره، ونواهيه إلخ. وقد نُقلت تلك الميامر إلى مكتبة دير مار برصوم. انظر: أغناطيوس أفرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص١٩٧-١٩٨.

(111) بولس بهنام : تاريخ دير مار برصوم، ص١٨؛ أغناطيوس أفرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص٢٤-٢٥.

(112) مانويل الأول كومنين: هو الابن الرابع للإمبراطور يوحنا الثاني كومنين. ولد في نوفمبر سنة ١١١٨م،، وقد تم اختياره وليًا لعهد بيزنطة سنة ١١٤٣م، وامتد حكمه لبيزنطة حتى وفاته سنة ١١٨٠م. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٥٧٨-٥٧٩. للمزيد عنه انظر:

Colombia، Trans. By Charles M. Brand، Deeds of John and Manuel Commenus،John Kinnamos Cambridge، The Empire of Manuel I Comnenos 1143-1180،1976; Magdalino 1997.

وانظر أيضًا: محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنين، الإسكندرية ١٩٨٥؛ عبدالعزيز رمضان: بيزنطة والغرب الأوروبي (١١٤٣-١١٨٠م)، ط. القاهرة ٢٠٠٧م ؛ محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، دار العالم العربي، ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص٥٣ وما بعدها.

(113) بولس بهنام : تاريخ دير مار برصوم، ص١٩.

(114) أغناطيوس الثاني داود: نشأ بدير حربا بمنطقة سميساط على نهر الفرات، ورُسم في دير مار زكا في الرقة، في الخامس من يونيو ١١٨٩ (الموافق سنة ٨٧٨م)، توفى في مارس ببلدة مريبة سنة ١١٩٤ (٨٨٣م). انظر: ابن العبري: التاريخ الكنسي، ص٩٦.

(115) بولس بهنام : تاريخ دير مار برصوم، ص١٩.

(116) تاريخ دير مار برصوم، ص٦-٨.

(117) أغناطيوس أفرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص٢٤-٢٥.

(118) بولس بهنام : تاريخ دير مار برصوم، ص٢١.

(119) جوسلين الثاني: هو ابن جوسلين الأول كونت الرها، ولد سنة ١١١٣م، وتولى حكم إمارة الرها خلفًا لأبيه سنة ١١٣١م، وفي عهده سقطت إمارة الرها في يد عماد الدين زنكي سنة ١١٤٤م/٥٣٩هـ، وقد وقع أسيرًا في يد نور الدين محمود سنة ١١٤٩م، وأمضى بقية حياته في الأسر حتى وفاته سنة ١١٥٩م. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٩١.

(120) الرهاوي المجهول، ج٥، ص٨٢.

(121) ميخائيل السرياني: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمه عن السريانية: مار غريغوريوس صليبا شمعون، تقديم: مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم، ط.١، حلب ١٩٩٦م، ج٣، ص٢٦٢-٢٦٥.

(122) ابن العبري: التاريخ الكنسي، ص١٢٥-١٢٦.

(123) ابن العبري: التاريخ الكنسي، ص١٢٦-١٢٧.

(124) تعددت الرؤى والأحلام المقدسة طوال فترة الحروب الصليبية، وقد أُطلق على تلك الرؤى والأحلام مصطلح "مقدسة" لأن معظم الذين ظهروا في الرؤى كانوا من القديسين في غالب الأحوال، وفي هذه الرؤى كان الله أو المسيح يعنفهم أو ينصحهم، إما شخصيًا أو عن طريق الوسطاء من القديسين أو الموتى. وذلك من أجل رفع معنوياتهم. انظر: جوناثان ريلي- سميث: الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.٢، القاهرة ١٩٩٩، ص١٨٣. وللمزيد من التفصيل عن الروى والأحلام المقدسة عصر الحروب الصليبية انظر: إمام الشافعي محمد حمودي: الرؤى والأحلام المقدسة عصر الحروب الصليبية، دار البشير للثقافة والعلوم، ط.١، القاهرة ٢٠١٩م.

(125) قاسم عبده قاسم: الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.١، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٤٨.

(126) ميخائيل السرياني: تاريخه، ج٣، ص ٢٦٦-٢٦٧؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٢٧-٣٢٨.

(127) ربحي مصطفى عليان: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط.١، عمان ١٩٩٩م، ص١١٤؛ وليد ناصر شناق و أحمد نافع المدادحة: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، ط.١، عمان ٢٠١٥م، ص٦٥.

(128) أسامة بن منقذ: ولد أسامه بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ في مدينة شيزر في السابع والعشرين من جمادى الأخرى سنة ٤٨٨هـ/ الموافق الرابع من يوليو سنة ١٠٩٥م، أي في العام الذي ألقى فيها البابا أوربان الثاني خطبته الشهيرة بمدينة كليرمونت بفرنسا، وقد تربى أسامة في أسرة عريقة الأصل، فعاش شهمًا فارسًا، زاهدًا مجاهدًا مقاتلًا، ولمع أديبًا وشاعرًا، أمضى معظم شبابه في البلاط النوري بمدمشق، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة، وغالب سنيّ كهولته في الدار الأتابكية بالموصل، وفي حصن كيفا على نهر دجلة. زار بيت المقدس في فلسطين، وحج إلى الحرمين، وتنقل بين معظم العواصم الإسلامية، وكانت له صلات بالصليبيين فتعرّف شخصيًا ببوهيموند كونت أنطاكية وابن أخته تانكريد، وفولك الأنجوي ملك بيت المقدس، وبعض من فرق الداوية، كما كانت له علاقات طيبة بالسلطان صلاح الدين الأيوبي وخاصة في أيامه الأخيرة. وبعد حياة طويلة وحافلة توفى أسامة بن منقذ في الثالث والعشرين من رمضان سنة ٥٨٤هـ، الموافق الخامس عشر من نوفمبر سنة ١١٨٨م، عن عمر يناهز السادسة والتسعين وذلك بمدينة دمشق. انظر: أسامة بن منقذ: الاعتبار، تحرير: فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص أ- ب، س ش. وللمزيد عنه انظر: مقدمة كتاب الاعتبار، ص أ-س ش؛ جمال الدين الألوسي: أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية، مطبعة أسد، بغداد ١٩٦٧م، ص ١٣ وما بعدها؛ عادل جابر صالح: "كتاب الاعتبار: دراسة في الاجتماع في بلاد الشام إبان القرن السادس الهجري"، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، عدد (٤٧)، بغداد ١٩٩٩م، ص١١٣-١٥٢؛ عبدالحميد جمال الفراني: "القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية في كتابه الاعتبار"، أعمال مؤتمر التاريخ الشفوي الاواقع والطموح، الجامعة الإسلامية بغزة – كلية الآداب، مايو ٢٠٠٦م، ص ٣٥٩-٣٦٣؛ رغدة علي الزبون: "قراءة تحليلة في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ" المجلة الأردنية في اللغة العربية آدابها، مج ٧، عدد ٢، جامعة مؤتة، عمان، أبريل ٢٠١١م، ص٢٢-٢٣؛ شفيق محمد عبدالرحمن الرقب: "مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامه بن منقذ"، جامعة عين شمس- كلية الآداب، مج٤٠، مارس ٢٠١٢م، ص١٥١ وما بعدها.

(129) جمال الدين الألوسي: أسامة بن منقذ، ص١٣.

(130) جمال الدين الألوسي: أسامة بن منقذ، ص١٤؛ رغدة علي الزبون: "قراءة تحليلة في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ"، ص٢٤-٢٥؛ شفيق محمد عبدالرحمن الرقب: "مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامه بن منقذ"، ص١٥١.

(131) شفيق محمد عبدالرحمن الرقب: "مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامه بن منقذ"، ص١٥٢.

(132) رغدة علي الزبون: "قراءة تحليلة في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ"، ص٢٥.

(133) عبدالحميد جمال الفراني: "القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية في كتابه الاعتبار"، ص ٣٦٤-٣٦٦.

(134) طلائع بن رُزيك: أحد وزراء الدولة الفاطمية العظام، المُلقب بالملك الصالح، ولي الوزارة سنة ٥٤٩هـ خلفا للوزير الفاطمي عباس الذي قُتل على يد الصليبيين في العام نفسه، وظل في الوزارة حتى مقتله سنة ٥٥٦هـ، وتولى الوزارة من بعده ابنه. وللمزيد عنه انظر: ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٢١٣-٢١٤، ٢٨٤-٢٨٦؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق وتعليق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط.١، بيروت ١٩٩٧م ج١، ص ٣٠٩، ٣٩٠-٣٩٥.

(135) كان أسامة بن منقذ قد سافر إلى القاهرة سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، وقد أكرمه الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله اكرامًا يليق بمقامه وجهاده، وعمل في القصر الفاطمي، حتى وقعت الفتنة بمصر،فتركها سنة٥٤٩هـ/١١٥٥م وإتجه إلى دمشق، وكان قد ترك بالقاهرة أسرته المكونة من والدته وزوجه وأخوه محمد وبعض أتباعه. وبعد أن استقر به المقام بدمشق بعث إلى الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك يسأله أن يرسل إليه أهله ففعل. أبو شامة: الروضتين، ج١، ٣١٥-٣١٦؛ جمال الدين الألوسي: أسامة بن منقذ، ص٣٩.

(136) الملك بلدوين الثالث: هو الابن الأكبر للملك فولك، تولى الحكم سنة ١١٤٣م خلفًا لأبيه وهو في سن صغيرة تحت وصاية أمه الملكة مليزند، وظل تحت وصايتها حتى سنة ١١٥٩م حيث ثار عليها وانفرد بالحكم، وظل ملكًا لبيت المقدس حتى وفاته سنة ١١٦٣م. انظر: وليم الصورى: الحروب الصليبية، جـ٣، ص٢٢٩-٢٣٤. وللمزيد عن حياته ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي انظر: عبد اللطيف عبد الهادي السيد: الحركة الصليبية: عصر بلدوين الثالث (١١٤٣-١١٦٣م)، المكتب الجامعي الحديث، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م.

(137) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص ٣٤-٣٥؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ٣١٥-٣١٦؛ جمال الدين الألوسي: أسامة بن منقذ، ص٤٦-٤٧.

(138) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص ٣٥.

(139) رغدة علي الزبون: "قراءة تحليلة في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ"، ص٢٦.

(140) جمال الدين الألوسي: أسامة بن منقذ، ص٨٤؛ عبدالحميد جمال الفراني: "القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية في كتابه الاعتبار"، ص ٣٦٤-٣٦٥، ٣٩٩-٤٠٠؛ سامي الصقار: :أسامة بن منقذ: ودوره في الجهاد ضد الصليبيين ومؤلفاته هدي الإسلام (٢)"، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، مج ٥٦، عدد (٣)، مارس ٢٠١٢م، ص٧٦؛ المؤلف نفسه: مج ٥٦، عدد (٤)، مارس ٢٠١٢م، ص٨٧-٨٨.

(141) خُوَيْلَفَة: موضع بنواحي فلسطين، يقع على الحدود الشمالية من صحراء النقب حاليًا. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٠٨.

(142) ريتشارد قلب الأسد: هو ملك إنجلترا خلال الفترة (١١٨٩-١١٩٩م)، ولد في الثامن من سبتمبر سنة ١١٥٧م، وهو الابن الثاني للملك هنري الثاني Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) ملك إنجلترا، وإليانور الأكويتانية Eleanor of Aquitaine،

وقد شارك ريتشارد في الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م). انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٥١٤-٥١٥. وللمزيد عنه انظر:

New York 1943 ; J.Brundage، Trans. Hubert، The Crusade of Richard Heart of Lion،Ambreoise ، Richard Lion heart، New York 1974.

وانظر أيضًا: علي رمضان فاضل: ريتشارد قلب الأسد فارس أوروبا الأول، ط. الجيزة ٢٠١١م.

(143) أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٣٥.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر العربية والمعربة:

- ابن الأبّار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضـــاعي ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي رضي الله عنه، مكتبة الثقافة الدينية، ط١. القاهرة ٢٠٠٠م.
- ابن الأثير الجزري (عزالدين محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد الســلام تدمري، ج٨، دار الكتاب العربي، ط. بيروت ٢٠١٢م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف ت ٨٧١هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥، دار الكتب، ط. القاهرة ١٩٦٣م.
- ابن جبير (محمد بن أحمد ت ٦١٤هـ/١٢١٧م): الرحلة، دار صادر، ط. بيروت ب. ت.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ/١١١٦م) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراســة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا، و مصــطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصــححه: نعيم زرزور، ج١٧، دار الكتب العلمية، ط. بيروت ب–ت.
- ابن عبد ربه الأندلســي (أبو عمر، شــهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، تحقيق: د. عبدالمجيد الترحيني، ج٧، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- ابن العبري (غريغوريوس ت ٦٨٥هـ/١٢٥٦م): التاريخ الكنسـي، تجمه عن السـريانية: صـليبا شـمعون، دار المشرق الثقافية، ط. دهوك ٢٠١٢م.
- ابن العديم (كمال الدين أبو القاســم ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق وتقديم: سهيل زكار، ج٢، دار الفكر، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- ----------: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق وتقديم ســهيل زكار، ج١، دار الفكر، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- ابن الفقيه، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن إســحاق الهمذاني: كتاب البلدان، تحقيق: يوســف الهادي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، ط. بيروت ١٩٩٦م.
- ابن القلانسـي (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشـق، مطبعة الآباء اليسـوعيين، ط. بيروت ١٩٠٧م.
- ابن واصل (جمال الدين محمد ت ٦٩١هـ/ ١٢٩١م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور وحسنين ربيع، ج٤، دار الكتب والوثائق القومية، ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- أبو شــامة (شــهاب الدين أبو محمد ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م): الروضــتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق وتعليق: إبراهيم الزيبق، ج١، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤/١١٨٨م): الاعتبار، تحرير: فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، ط. بيروت ١٩٨١م.

- ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ترجمة وتحقيق: سهيل زكار، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٥١، ط. دمشق ٢٠٠٧.
- بطرس توديبود (القرن ١٢م/٦هـ): تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة وتعليق: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية ١٩٩٩م.
- البنداري (الفتح بن علي): سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٩.
- الحنبلي (مجير الدين ت ٩٢٨هـ/): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج١، مكتبة دنديس، عمان ١٩٩٩م.
- الذهبي (شمس الدين الحافظ الذهبي ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م) : سير أعلام النبلاء، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، ج١٩، الطبعة الحادية عشرة، مؤسسة الرسالة، ط. بيروت ١٩٩٦م.
- رايموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى الانجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوم هيل ولوريتال هيل، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، ط.الإسكندرية ١٩٨٩م.
- الرهاوي المجهول، تاريخه، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، دمشق ١٩٩٥م.
- السبكي تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ج٥، دار إحياء الكتب العربية، ط. ط. القاهرة ب-ت.
- السمعاني: الأنساب، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ج٣، الطبعة الأولى، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨م.
- السيوطي (المنهاجي شمس الدين ت ٨٨٠هـ/١٤٨٥م): إتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق: أحمد رمضان أحمد، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة ١٩٨٢م.
- العماد الكاتب الأصفهاني (مجمد بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): تاريخ دولة آل سلجوق، ط.بيروت ١٩٨٠م.
- ----------: الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، ب. ن، ب. ت.
- فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي في فلسطين "تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م"، ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، الطبعة الأولى، دار الشروق، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- القلقشندي (أبو العباس أحمد ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٤، المطبة الأميرية، ط.القاهرة ١٩١٤م.
- ----------: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، ط. بيروت ب-ت.

- مجهول (فارس صليبي في جيش بوهيموند الأول عاصر القرن ٥هـ/١١م): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتقديم وتعليق: حسن حبشي، ط.القاهرة ١٩٥٨م.
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد، ج٢، ط.القاهرة ١٩٩٦م.
- ميخائيل السرياني: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمه عن السريانية: مار غريغوريوس صليبا شمعون، تقديم: مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم، ج٣، الطبعة الأولى، ط. حلب ١٩٩٦م.
- النويري (شهاب الدين ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، ج٢٨، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ط. بيروت ٢٠٠٤م.
- الهروي (أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي ت ٦١١هـ/١٢١٥م): الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.القاهرة ١٩٩٢م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، ج٥، دار صادر، بيروت، ب.ت.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة

- احسان عباس: الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي العالم الشاعر الناثر الثائر(٣٧٠-٤١٨هـ)، دار الشروق، الطبعة الأولى، عمان ١٩٨٨م.
- أحمد تيمور باشا: أبو العلاء المعري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٢م.
- أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية، ط.١، الكويت ١٩٧٥م.
- أغناطيوس أفرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، تقديم: المطران غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، ط.٦، حلب ١٩٩٦م.
- إمام الشافعي محمد حمودي: الرؤى والأحلام المقدسة عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد (٣٠)، ج١، جامعة الأزهر، يوليو ٢٠١١م.
- أنتوني بردج: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة أحمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي، مراجعة وتقديم: سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٥م.
- بشري جعفر أحمد: "حلب من خلال كتابي الرحالة ناصر خسرو وابن جبير"، مجلة كلية التربية الأساسية، مج (١٩)، عدد (٨٠)، بغداد ٢٠١٣م.

- بشـــير عبد الغني بركات: تاريخ المكتبات العربية في بيت المقدس، مراجعة: إبراهيم باجس عبد الحميد، الطبعة الأولى، مكرز الملك فيصـــل للبحوث والدراســـات الإســـلامية، الرياض ٢٠١٢م، ص٣٣، هامش(١).
- بولس بهنام: تاريخ دير مار برصوم، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل ١٩٥١م.
- ثريا محمد عطية الغانمي: "الحياة العلمية والفكرية في بيت المقدس في العصـــر الأيوبي"، ضـــمن كتاب الصـــليبيون في الشـــرق، بحوث لتكريم المؤرخة الراحلة أ.د/ علية الجنزوري، تحرير: أ.د/محمد مؤنس عوض، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٠م.
- جمال الدين الألوسي: أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية، مطبعة أسد، بغداد ١٩٦٧م.
- جمال الدين الشيال: أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، د. ن، د. ت.
- جوناثان ريلي– سميث: الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.٢، القاهرة ١٩٩٩.
- خالد يوسـف صـالح: "حلب والموصـل في العهد الأيوبي، من خلال رحلة ابن جبير دراسـة مقارنة في الجانب المعماري"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج (٨)، عدد (١)، ٢٠٠٨م.
- ربحي مصـطفى عليان: المكتبات في الحضـارة العربية الإسـلامية، دار صـفاء للنشـر والتوزيع، ط.١، عمان ١٩٩٩م.
- رغدة علي الزبون: "قراءة تحليلة في كتاب الاعتبار لأســـامة بن منقذ" المجلة الأردنية في اللغة العربية آدابها، مج ٧، عدد ٢، جامعة مؤتة، عمان، أبريل ٢٠١١م.
- سـامي الصـقار: أسـامة بن منقذ: ودوره في الجهاد ضـد الصـليبيين ومؤلفاته هدي الإسـلام (١)"، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، مج ٥٦، عدد (٣)، مارس ٢٠١٢م.
- ----------: أسامة بن منقذ: ودوره في الجهاد ضد الصليبيين ومؤلفاته هدي الإسلام (٢)"، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، مج ٥٦، عدد (٤)، مارس ٢٠١٢م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ط. القاهرة ١٩٦٤م.
- السـيد عبد العزيز سـالم: طرابلس الشـام في التاريخ الإسـلامي، مؤسسـة شـباب الجامعة، الإسـكندرية ١٩٦٦م.
- شـــعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصـــور الوســـطى، الطبعة الثانية، الدار المصـــرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠١م.
- شفيق محمد الرقب: "بلاد الشام في رحلة ابن جبير"، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج (٢٨)، عدد (٢)، جامعة مؤتة، الأردن ٢٠٠١م.

- شـفيق محمد عبد الرحمن الرقب: "مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشـام من خلال كتاب الاعتبار لأسامه بن منقذ"، جامعة عين شمس- كلية الآداب، مج٤٠، مارس ٢٠١٢م.
- عادل جابر صـالح: "كتاب الاعتبار: دراسـة في الاجتماع في بلاد الشـام إبان القرن السـادس الهجري"، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، عدد (٤٧)، بغداد ١٩٩٩م.
- عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، الطبعة الخامسة، ط. القدس ١٩٩٩م.
- عاصـم إسـماعيل كنعان ونعمة شـهاب جمعة: "الدور السـياسـي والثقافي في طرابلس ٤٥٧-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٩م"، مجلة الفتح، العدد (٢٦)، بغداد ٢٠٠٦م.
- عبد السـتار مطلك درويش وأحمد محمود حمود شـنتاف: "الاحتلال الصـليبي لمعرة النعمان (٤٩٢-٥٢٩هـ/١٠٩٨-١١٣٥م)"، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسـانية، كلية الآداب-جامعة الأنبار، العدد الأول، مارس ٢٠١٣م.
- عبد الحميد جمال الفراني: "القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشـفوية في كتابه الاعتبار"، أعمال مؤتمر التاريخ الشفوي الاواقع والطموح، الجامعة الإسلامية بغزة – كلية الآداب، مايو ٢٠٠٦م.
- علي أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م.
- عمر عبد السلام تدمري: الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت ١٩٧٢م.
- ----------: مكتبات بني عمار في طرابلس في الشـام المسـماة دار العلم، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، العدد (١) ، السعودية، جمادى الآخرة -يناير ١٩٩١م.
- فاطمة بلهواري: "الشام في رحلة ابن جبير الكناني"، مجلة التراث العربي، وهران -الجزائر، ب-ت.
- فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، ج١، بيروت ١٩٥٨.
- ----------: لبنان في التاريخ، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢م.
- قاسـم عبده قاسـم: الخلفية الإيديولوجية للحروب الصـليبية دراسـة عن الحملة الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.١، القاهرة ١٩٩٩م.
- كامل جميل العسـلي: "دور الكتب في القدس"، المجلة العربية للمعلومات، مج٢، عدد (١)، تونس ١٩٨٠.
- لوسيان بولاسترون: كُتب تحترق تاريخ تدمير المكتبات، ترجمة: هاشم صـالح ومحمد مخلوف، مراجعة: عبد الودود العمراني، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة ٢٠١٠م.
- محمد سـليم الجندي: تاريخ معرة النعمان، حققه وعلق عليه ووضـع فهارسـه: عمر رضـا كحّالة، ج١، الطبعة الثانية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٤م.
- محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، ط.٣، بيروت ٢٠٠٩.

- محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله وأسـرار الدعوة الفاطمية، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٣م.
- محمد كرد علي: خطط الشام، ج٦، الطبعة الثانية، مكتبة النوري، دمشق ١٩٨٣م.
- محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٨م.
- محمد محمد مرسي الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.
- محمود محمد الحويري: بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، دار المعارف، ط.١، القاهرة ١٩٩٢م.
- محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ١٩٩٩/٢٠٠٠م.
- ----------: عصر الحروب الصليبية بحوث ودراسات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٦م.
- ----------: الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، دار العالم العربي، القاهرة ٢٠١٠م.
- ----------: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب: القرنان ١٢، ١٣م، مكتبة الآداب، ط.١، القاهرة ٢٠١٥م.
- نبيلة إبراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- هانز ماير: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، ط.القاهرة ١٩٩٩م.
- وليد ناصر شناق وأحمد نافع المدادحة: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان ٢٠١٥م.

ثالثا المراجع الأجنبية:

London 1923.، A History of the Fatimid Khalifate،1- De Lacy O'Leary. D.D.
London 1999.، The Templars،2-Piers Paul Read
Cambridge 1997.، The Empire of Manuel I Comnenos 1143-1180،3-Magdalino

رابعا: الرسائل العلمية

- إبراهيم خميس إبراهيم سلامه (دكتور): العلاقات السياسية بين جماعة فرسان الداوية والمسلمين في بلاد الشام (١١٩٣-١٢٩١م/٥٨٩-٦٩٠هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م.

- بكر حرب سليمان أبو حليمة: الأحوال العامة لبيت المقدس من بداية العصر العباسي وحتى الغزو الصليبي (١٣٢-٤٩٢هـ/٧٥٠-١٠٩٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠١٦م.
- محمد مؤنس عوض (دكتور): التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية في القرنين ١٢-١٣م/٦-٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م.